

# من التراث الأدبي

للمغرب العربي

دكتور

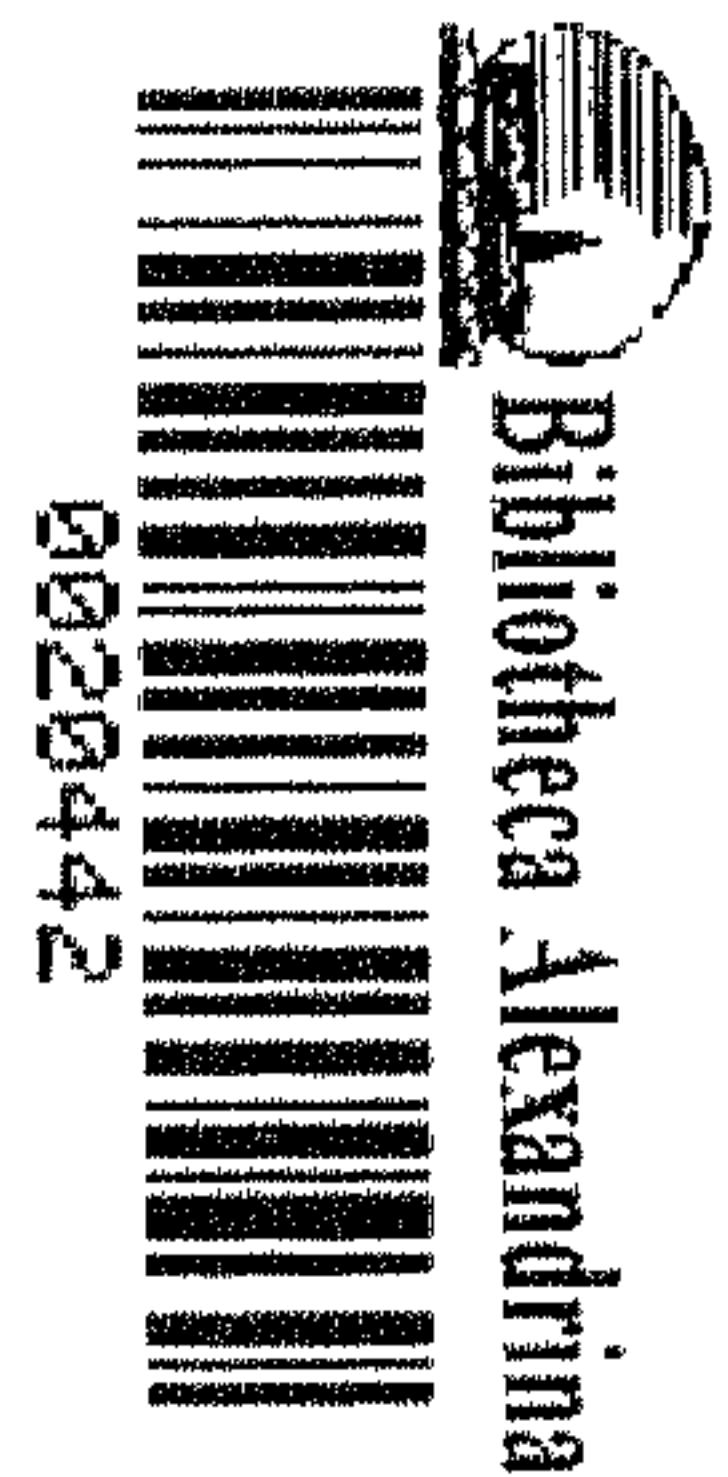
عبد العزيز قلفيڤل

الأستاذ المشارك بكلية الآداب  
جامعة الرياض

الناشر

عالم الكتب

٣٨ عبد الغالق شرقت - القاهرة





# من التراث الأدبي للمغرب العربي

دكتور  
عبد العزيز قلقبلا

الأستاذ المشارك بكلية الآداب  
جامعة الرياض

الناشر

مركز الكتاب

٢٨ عبد الغال وشروت - القاهرة

١٩٧٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وقل رب زدني علما

صلى الله العظيم

## الفهرست

|      |   |
|------|---|
| صفحة |   |
| ٥    | اهـداء  |
| ٧    | تقديم   |
| ٨    | عنوان المرقصات والمطربات لابن سعيد المغربي  |
| ٢٣   | الجواهر الحسان في نظم اولياء تلمسان<br>أحمد بن محمد امرابط                              |
| ٦٤   | عنوان البراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة<br>ببجاية لأبي العباس أحمد الغبريني |
| ١٢٦  | أسئلة الأسقيا وأجوبة المقيلى<br>أحمد بن عبد الكريم بن محمد الميلى                       |
| ١٥٤  | آداب المعلمين أحمد بن سحتون   |
| ١٧٥  | الخاتمة   |
| ١٧٦  | شكر وتقدير  |

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف  
الطبعة الأولى : ١٩٧٩  
مستطابع : دار الهنا - القاهرة  
الناشر : عالم الكتب  
تم الطبع في ١٠/٩/١٩٧٩

## الإهداء

هذه الدراسة مهداة الى معهد الآداب والثقافة العربية  
بجامعة قسنطينة : مديرا وأساتذة واطلابا وأنعمهم أن تكون  
نواة لدراسات أخرى تأتي على أثرها وفي أعقابها .

**عبد العزيز قلفيلة**

القاهرة

غرة رمضان المعظم سنة ١٣٩٨ هـ  
٥ من أغسطس سنة ١٩٧٨ م





## ١ - عنوان المرقصات والمطربات :

هذا الكتاب « عنوان المرقصات والمطربات » من تأليف رئيس الأدباء وعميد الفضلاء نور الدين على بن الوزير أبي عمران موسى بن محمد ابن عبد الله بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن سعيد ابن الحسن بن عثمان بن عبد الله بن عمار بن ياسر .

المتوفى فى شعبان سنة ٦٧٣ هـ بدمشق والمعروف بابن سعيد المغربى قال صاحب « فوات الوفيات » عنه :

« ورد من المغرب وجال فى الديار المصرية والعراق والشام وجسع وصنف ، وهو صاحب كتب كثيرة منها :

[ المغرب فى حلى المغرب ] و [ المشرق فى حلى المشرق ] و [ الجغرافية ] و [ ملوك الشعر ] .

و [ عنوان المرقصات والمطربات ]

وهو الكتاب الذى نتشرف اليوم بعرضه وتحليله فى هذه السلسلة التى نستهلها به .

وابن سعيد فيه على مذهب الجاحظ وابن قتيبة والقاضى الجرجانى وابن رشيق القيروانى وغيرهم ، فى انصاف المحدثين ، وانزالهم منازلهم التى يستحقونها فى خط سير الأدب ، بصرف النظر عن أزمانهم ، أى انه مع الجودة تقدم الزمن بها أى تأخر ، وضد الرداءة تقدم الزمن بها كذلك أو تأخر .

يضافتنا هذا الرأى له فى خطبة كتابه بقوله :

« فان الله جل وعلا جعل قيمة كل امرىء ما يحسن ويقول ، وشرف البلاغة بأن تأخذ الأفهام منها على قدر المقرائح والعقول، ولم يمكن من اعتتها من هو عن مجال رجالها قاصر ، وحبها فى كل عصر بأكرم ولى وأعز ناصر ، ولم يفصر الفضل على من تقدم ، ص ٦ .

ولا يعجبه ما ذهب اليه بنترة من استغراق القدماء لعانى الشعر

بقوله في صدر معلقته : هل غادر الشعراء من متردم ؟

فيدفعه بقول القائل : -

فلو كان يفنى الشعر أفنته ما قرت  
حياضك منه في العصور الذواهب  
ولكنه صوب العقول اذا انجلت  
سحائب منه أعقت بسحائب

ويقول ابن شرف :

عنى الناس بامتداح القديم  
وبدم الحديث غير الديم  
ليس لا لأنهم حسدوا الحى  
ى فرقوا على العظام الرميم

ويستظهر على ذلك بقول ابن رشيق - وان لم يصرح باسمه - « ان المتقدمين بنوا فأوثقوا ، وان المتأخرين زينوا ونمقوا » [ ص ٦ وانظر العمدة ج ١ ص ٩٠ والنقد الأدبى فى المغرب العربى ج ١ ص ١٦٤ ] كما يستظهر عليه بما جاء فى الرسائل التى وقعت له من مثل قولهم : - « ان لكل زمان ما يليق به من البيان » و « الناس بأزمانهم أشبه منهم بأبائهم » .

ونراه مؤمنا بأن البلاغة لا تزال تطلع فى كل عصر بالمشارك والمغرب ما يزين سماءها من شمس وبدر وكواكب .

والمنصف عنده هو من أطال عنان الاختيار دون اقتصار ، ولم يخص بالفضيلة عصرا دون عصر ، ولا مصرا دون عصر .

ولا يقتصر على هذا التقرير النظرى بل يتبعه بتقرير آخر على استخلصه من تجواله الدائب ، وأقوا قوله :

« وانى لما تغفلت فى الرحلة ما بين مشرق ومغرب ، ومالت سمعى من

كل معجب بنفسه ومعجب ، ولقيت من الخائضين في النظم والنثر ما أشار  
اليه القائل بقوله :

الناس كالأرض ومنها هم  
ممن خشن فيها رمن ليّن  
مرو تشكى الرجل منه الأذى  
ولقد يجمال في الأعين

ولقد أثمر هذا التجوال الطيب كتأبيه :

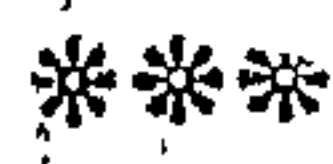
[ المشرق في حلى أهل المشرق ] و [ المغرب في حلى أهل المغرب ]  
ثم شرع في استخلاص كتاب منهما تحت اسم [جامع المرقصات والمطربات] .

ويظهر أنه أعلن ذلك ، فاستعجله الناس عن اتمامه ، ولما الحوا عليه  
في ذلك أخرج لهم ما كان قد للمه منهما وسماه [عنوان المرقصات والمطربات]  
وجعله بمثابة مقدمة للجامع ومدخل اليه .

وقد ضمينا من النظم بدائع أبيات لا يشق على القلب والطرف ذكرها  
ولحظها مما يحاكي شعشعة الشمس على صفحات الأنهار وورقة الظل في  
لحظات الأزهار ، ليرف على مائتته ريحان القلوب ويعطيه السمع لحظ المحب  
الى المحبوب .

من كل معنى ولفظ  
يُنمى السليم اليه  
كخمسرة في زجاجه  
يبنى لديه علاجه

ويحسن التنبيه الى أنه رتب على الأعصار ، وان ما اختاره وأثبته من  
الشعر فيه لا يتجاوز ألف بيت .



والمرقصات والمطربات هي القصائد أو المقطعات التي تأتي في الدرجتين  
الأولى والثانية من درجات الشعر الخمس والثلاثة الأخرى هي

المقبول والمسموع والمتروك - على التوالي .

فليست المرقصات هي الراقصات ، وليست المطربات هي المغنيات كما فهم ذلك من قدم للكتاب بقوله الذى يدل على عدم فهمه « والكتاب مع صغر حجمه وقلة عدد صفحاته ، يعد من الكتب الفنية لما جمعه بين صفحاته من أخبار الراقصات والمطربات فى العصور الغابرة » .



والمرقص عند ابن سعيد : ما كان مخترعا أو مولدا يكاد يلحق بطبقة الاختراع كقول امرئ القيس :

سموت اليها بعدما نام أهلها  
سمو جباب الماء حالا على حال

وكقول وضاح اليمن :

قالت : لقد أعييتنا حجة فأت اذا ما هجع السامر  
وأسقط علينا كسقوط الندى ليلة لا نساء ولا أمر

وكقول ابن حمديس الصقلى :

باكر الى اللذات واركب لها  
سوابق اللهب ذوات المراح  
من قبل أن ترشف شمس الضحى  
ريق الغوادرى من ثغور الاقاح

والمطرب : ما نقص فيه الغوص عن درجة الاختراع الا أن فيه مسحة من الابتداع كقول زهير فى المتقدمين :

تراه اذا ما جتسه متهللا كأنك تعطيه الذى أنت سائله

وقول حبيب فى المتأخرين :

ولو لم يكن فى كفه غير نفسه  
لجاد بها فليثق الله سائله

والمقبول : ما كان عليه طلاوة مما لا يكون فيه غوص على تشبيهه  
وتمثيل وغيرهما من الألوان البلاغية الأخرى ومن المقبول قول طرفة فى  
المتقدمين :

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا  
ويأتيك بالأخبار من لم تزود

وقول ابن شرف فى المتأخرين :

لا تسأل الناس والأيام عن خبرى  
هما يثانك الأخبار تظفيرا

والمسموع : ما عليه أكثر الشعراء مما به القافية والوزن دون أن  
يمجه الطبع ويستثقله السمع كقول امرئ القيس :

وقوفا بها صحبى على مطيهم  
يقولون : لا تهلك أسى وتجمل

والمتروك : ما كان كلا على السمع والطبع كقول المتنبي :

فقلقت بالهم الذى قلقل الحشا  
قلاقل هم كلهم قلاقل

\*\*\*

وفاء من المؤلف لعنوان كتابه ، قصره على المرقصات والمطربات دون  
بقية الطبقات ، لكنه احتاط لنفسه بقوله : « وقد يلى من طبقتى المسموع  
والمقبول ما يكون توطئة للمرقص والمطرب ، فأجعله من جملة الألف بشفاعة  
ما يتعلق به » ص ٩ .

\*\*\*

وانا كان ابن سعيد قد عول أكثر ما عول في التمثيل للمرقص والمطرب  
بما يراه كذلك من الشعر . لكونه أعلق بالأفكار واجول في الأقطار ، وهو  
معين على نفسه في تذكاره ودرسه ، فانه لم يخل كتابه من النثر بالكلية .  
وانما أورد منه ما يكون كالعلم في الحلة الموشية .

ولما كان النثر في الأدب العربي يُطلق على ما هو مقيد بالسجع ، وعلى  
غير ما هو مقيد به . فانه لم يورد في كتابه على حد قوله - الا ما كان  
دقيدا بالسجع المسهل للحفظ مما هو داخل في طبقتي المرقص والمطرب ،  
جريا على ما اختطه لنفسه في الشعر . وقد رتب ما ذكره من النثر على  
الاعصار .

مثلما فعل في الشعر ، فهو يورد نصوصا لعبد الحميد بن يحيى الكاتب  
وابراهيم بن العباس الصولي والخليفة العباسي عبد الله بن المعتز وأبي الفضل  
ابن العميد وابنه أبي الفتح وأبي اسحق الصابي والصاحب بن عباد وأبي  
نصر العتبي وبيديع الزمان الهمذاني والأمير أبي الفضل الميكالي وأبي محمد  
القاسم بن علي الحريري والقاضي الفاضل البيساني وضياء الدين أبي الفتح  
ابن الأثير الجزري وابن كيزان المصري وابن الصيرفي المصري وذي الوزارتين  
أبي عبد الله بن أبي الخصال امام كتاب الأندلس طرفي المائتين الخامسة  
والسنادسة وعيسى بن خير العكيلي والفتح بن عبد الله صاحب قلائد العقيان  
وهو من أئمة كتاب الأندلس في المائة السادسة وأبي جعفر بن عطية الطرشوشي  
امام الكتاب في صدر دولة عبد المؤمن الموحدى وعنوان طبقتيه وأبي عبد الله  
ابن عياش كاتب الناصر وغيره من بنى عبد المؤمن والنجم القوصى وزير  
صاحب حماه وابن أبي منصور الدمياطي وزير الملك الأشرف وهو من بلغاء  
المائة السابعة بالديار المصرية وابي العباس الغثنائى كاتب صاحب افريقية  
وهو علم في الكتاب تعجز بلاغته وأبي الوليد بن الحنان وعلى بن سعيد  
صاحب الكتاب الذى نعرضه .

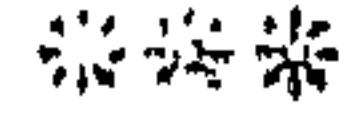


ولنلاحظ أنه ادخل المصريين والأندلسيين في مفهوم المغرب ولا عجب؛  
فهذا هو رأيه الذى رأيناه له فى كتابه ( المغرب فى حلى المغرب ) ؛ ففى دار  
الكتب المصرية . ١٠٥٠ ورقة من هذا الكتاب منها ٥٣٦ خاصة بمصر ، وهذا  
بمعنى أن المغرب من وجهة نظره يمتد من الأندلس حتى حدود مصر الشرقية  
وهو نفس ما ذهب اليه فى كتابه [ الجغرافية ] ص ١٨ طبعة بيروت سنة ١٩٧٠  
تحقيق اسماعيل العربى . وما نجسده له هنا ؛ فهو فى صدر ص ٧٥ من  
[ عنوان المرقصات والمطربات ] طبعة دار أحمد وحيو ببيروت سنة ١٩٧٣  
بعطى هذا العنوان :

### شعراء المغرب من أول الديار المصرية الى البحر المحيط :

يستهل كلامه تحت هذا العنوان بقوله :

«الجاهلية وما بعدها الى المائة الرابعة عاطلة مما هو شرط هذا الكتاب»  
قد تضمن هذا القول - على وجازته - حقيقة أدبية بالغة الأهمية هي أنه  
لا يوجد أدب مرقص ولا أدب مطرب بالمغرب العربي الكبير في ثلاثة القرون  
الهجرية الأولى .



ولعلنا - نحن المشاركة - في غير حاجة ماسة الى ما مضى من الكتاب  
الى هذا الحد ؛ فهذه بضاعتنا ردت إلينا .

أما من هذا ، أى من ص ٧٥ ، فإننا نجد المؤلف يستفتح شعراء المائة  
الرابعة بابن عبد ربه صاحب العقد وامام أهل أدبها بالأندلس .

ويختار له من المرقص قوله الذى حكم المتنبي بسماعه انه شاعر  
الأندلس .

يا أولاً يسبى العقول أنيقا  
ورشا بتعذيب القلوب خليقا  
ما ان رأيت ولا سمعت بشله  
دراً يعود من الحياء عفتا  
واذا نظرت الى محاسن وجهه  
أبصرت وجهك فى سناه غريقا  
يا من تقطع خصره من رقة  
ما بال قلبك لا يكون رقيقا

وبعد ابن عبد ربه : ابن هذيل الاعمى ويوسف بن هارون الرمادى  
والشريف المروانى الطليق . ومما اختاره له مرقصا به قوله :

وعلى الأصائل رقة من بعده  
وغدا النسيم مبلغا ما بيننا  
الروض مبسمه ونكهته الصبا  
فلذاك أولع بالرباض لأنها  
فكأنها تلقى الذى ألقاه  
فلذاك رق هوى وطاب شذاه  
والورد - أخضله الندى - خداه  
أبدأ تذكرنى بمن أهواه

ثم جعفر بن عثمان الحاجب وابن فروج الحياتى وتميم بن المعز والمقداد  
المصرى وأبو الحسن العقبلى وابن وكيع التنيسى هؤلاء كانوا شعراء المائة  
الرابعة الذين اختار ابن سعيد من شعرهم شعرا يتردد بين المرقص والمطرب .

\*\*\*

أما :

شعراء المائة الخامسة ص ٧٨ :

١٠٠ - فيهم - بحسب ترتيبيه لهم - أبو عمرو بن الدراج القسطلانى وادريس  
ابن اليمان وأبو عامر بن شهيد وأبو جعفر اللمائى وأبو حفص بن بروا  
الأصغر والوزير الامام أبو محمد بن حزم والمعتمد بن عباد ملك أشبيلية وابنه  
الراضى والمأمون بن المعتمد وأبو بكر بن عمار وزير ابن عباد وأبو الوليد  
ابن زيدون وزير ابن عباد وحبيب الأندلسى وزير ابن عباد وأبو حفص كاتب  
المعتمد بن عباد والوزير أبو عامر عبدوس وابن وهبون المرسى والبجلى وأبو  
الفضل بن شرف وعبد الله بن القايلة السببى وابن رشيق وعبد الله بن محمد  
الطار وعبد الرحمن بن حبيب وأبو عبد الله بن شرفوعلى بن يوسف التونسى  
وعتيق الوراق وعمران بن القاضى المسيلى وعبد الوهاب المثقالى وابن الغطاس  
وابن أبى مغذرج وثقة الدولة جعفر بن تأييد الدولة ذلك صقلية .

ولنقف من شعر هذا الملك عند قوله من المرقص :

رأتنى وقد شبهت بالورد خدها

فتاهت وقالت : قاس خدى بالورد

كما قال : ان الأحنوان كمبسمى

وان قضيب البان يشبهه قدى



وحق صفا ماء النعيم بوجنتي  
وحسن الجبين الصلت والفاطم انجعدى  
لئن عاد للتشبيه يوما حرمة  
لذيذ الكرى لا يل أذوقه فعدى  
إذا كان هذا في البساتين عنده  
فقولوا له : لم جاء يطلبه عندي ؟ !

وبعد هذا الملك يأتي شعر مرقص للقائد الحسين بن مشكور ومحمد  
ابن الحسن الكاتب وعلى بن الطبرى وابن عتيق الصفار وعبد العزيز بن الحاكم  
وأبى الحسن بن ابراهيم الودانى والقاضى الجليس أمين الدين المصرى  
وصنهاج وهاشم بن الياس المصرى وابن ملنسه وأبى الطاهر بن دواس  
الكاتمى ويعقوب بن كاس اليهود وزير العزيز والموفق أبى الحجاج بن محمد  
صاحب ديوان المكاتبات وأبى على الأنصارى والقاضى أبى الفتوح بن قادوس  
وأحمد بن مفرج وابن عباد الاسكندرانى وابراهيم بن شعيب المصرى وعبدالله  
ابن الطباخ وظافر الحداد الاسكندرانى وعلى بن حبيب التميمى والجليس  
ابن الحباب .



ومن شعراء المائة السادسة :

أبو اسحق بن خفاجة وابن اللبانه ، ومن مرقصه قوله :  
بروحى وأهلى جيرة ما استعتهم  
على الدهر الا واثنت معانا  
أراشوا جناحى ثم بلوه بالندى  
فلم أستطع من أرضهم طيرانا

وابن بسام صاحب الذخيرة وأبو جعفر الجزار البطرني وابن وضاح  
المرسى وابن الزقاق البلنسى وأبو الصلت صاحب الحديقة والحجازى صاحب  
المسهب ومحمد بن سعيد عم جد المصنف وابن أخيه أبو جعفر بن عبد الملك  
ابن سعيد الذى كتب الى حفصة الشاعرة اثر ليلة وصال باتا بها فى موضع  
يعرف بجود مؤمل وهو متنزه :

رعى الله ليلا لم يرح بمذمم  
عشيه وأرانا بجود مؤمل

وغرد قمرى على الدوح واثنى  
قضييب من الريحان من فوق جدول

أتري الروض مسرورا بما بداله  
عناق وضم وارثشاف مقبل

فجاوبته تقول :

لعمرك ما سرت رياض بوصلنا  
ولكنها أبدت لنا الغل والحسد

ولا صفق النهر ارتباجا لقربنا  
والا صدح القمرى الا لما وجد

فلا تحسن الظن الذى أنت أهله  
فما هو فى كل المواطن بالرشد

فما خلت هذا الأفق أبدى نجومه  
لأمر سوى كى ما تكون لنا رصد

وانما اوردت هذا المثال - على طوله - لأنبه الى ان ابن سعيد يترخص  
فى نثره وشعره بل فى شعر أهله وكل من يلون بهم .

ففى رأى أنه لا يأتى قى ذلك كله على شرط كتابه وانظر صفحات ٢٠ ،  
٨٨ ؛ ٩٤ وبعد حفصة الشاعرة ، ابن سفرة المريثى وأبو عبد الله الرصافى  
البلنسى وابن مجير ، وابن بقى وابن حيون الاشبيلى وابن قلاقس الاسكندرانى  
وابن حمديس الصقلى .

\*\*\*

ونصل من كتابه إلى مسك ختامه وهم :

شمراء المائة السابعة :

إلى عهده :

الأسعد بن ممتى وابن سناء الملك والنجيب بن الدماغ وجعفر بن شمس  
الخلافة والكمال بن النبيه والبرهان بن الفقيه نصر والأمير سيف الدين سابق  
والصاحب جمال الدين بن مطروح وشرف الدين الديباجي وابن شاور والذكي  
ابن أبي الأصبع وأبو الحسن الجزار والتاج بن غنوم الاسكندراني وسليمان  
افريقية أبو زكريا بن عبد الواحد وأبو علي بن العفون وأبو جعفر بن طلحة  
وزير بن هود صاحب الأندلس وكاتبه ومرج الكحل ومطرف الغرناطي  
وأبراهيم بن محبوب كاتب ابن الرستمي صاحب صقلية وأبو القاسم بن طلحة  
الصقلي ومرقصة الذي أورده ابن سعيد له هو :

أيتها النفس إليه ذهبي

فجبه المشهور من مذهبي

مفضض الثغر له نقطة

مسكية في خده المده

آيسني التسوية من جبه

طلوعه شمسا من المغرب

ثم ابن جبير الصقلي وأبو جعفر بن عياش وعفيف الدين التلمساني  
وأبو الحسين الرقشي وابن الصابوني الاشبيلي وأبو الوليد بن الحسنان  
وأبو عبيد بن أبي الحسين بن سعيد وزير صاحب افريقية وموسى بن سعيد  
والد المؤلف .

والمرقص الذي أورده ابنه له يؤكد ما ذهبنا إليه من أنه ضعيف مع

نفسه ومع أهله ؛ فهو يحابيهم ويخل بشرط كتابه من أجلهم .

وهذا هو مرقص والد المؤلف :

الأحبداء روض بكرنا له ضحى

وفي وجنات الورد للطل أدمع

وقد جعلت بين الغصون نسييه  
تمزق ثوب الظل منه وترقع  
ونحن اذا ما صلت القضب ركعا  
نظل لها من هزة السكر تركع

وعلى بن سعيد المؤلف ، قال من أبيات في جورة الصالحية بمصر وذكر  
احداق النيل بها :

وعانقها من فرط شوق لحسنها  
فمد يمتيا نحوها وشمالا

والمرقصان السابقان أولى بهما أن يكونا من المسموع ، فان جاملنا  
المؤلف جعلناهما من المقبول ولو أنهما الى المسموع أقرب وفيه أدخل .

\*\*\*

بهذا ينتهى الكتاب . وقد جرى فيه كله على ما وصفنا فى قسم شعراء  
المغرب .

فهو يبدأ بالعصر الجاهلى فيذكر فحوله والمرقص او الطرب من  
اشعارهم :

امرؤ القيس والنايغة وعنترة وطرفة وزهير وعلقمة واعشى بكر الذى  
وقف عنده وقفة نقدية لاذعة فقال :

« أكثر ما وقفت عليه من أوصافه الخمرية التى اشتهر بها أعرابية  
جافية يخرجها نمطها عن المرقص وان كانت حسنة التشبيه » ص ٢٤ .  
وبعد اعشى بكر اعشى باهلة وقيس بن الحطيم .

ويورد من المخضرمين : حسان بن ثابت والنايغة الجعدى والحطيئة  
وعمر بن شاش والشماخ وعبيدة بن الطبيب ومتم بن نويرة وكعب بن زهير  
وعمر بن معدى كرب والعباس بن مرداس وأبا الطمحان القينى والخنساء  
وجنرب بنت عمرو ذى الكلب والزبرقان بن بدر وعمر بن الأهم وأوس بن  
معزى وأبا ذؤيب الهذلى والوليد بن عقبة .

\*\*\*

- وينتقل بعد ذلك الى شعراء الاسلام حتى نهاية الدولة الأموية ص ٣٠ .
- ثم الى المخضرمين من شعراء الدولتين الأموية والعباسية فشعراء صدر الدولة العباسية الكاؤنين فى آخر المائة الثانية .
- فشعراء المائة الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة .
- واذا كان لنا أن نختار نموذجين يوضحان هذا الاجمال ويبطئان من هذا الاستعجال ، فاننا نقف عند الأحوص .

ومن المطرب له قوله :  
كم دنىء لها قد صرت اتبعه  
ولو صحا القلب عنها صار لى تبعها  
لا أستطيع نزوعا عن محبتها  
أو يصنع الشوق بى فوق الذى صنعا  
أدعو الى هجرها قلبى فيسعدنى  
حتى اذا قلت : هذا صادق نزعا  
وزاده رغبة فى الحب أن منعت  
أشهى الى المرء من دنياه ما منعا

ونقف كذلك عند محب الحلبي .  
ومن شعره المرقص وهو مزملض حقا :  
لا تقولى : لا ؛ فمكتوب على  
فمك القتان حسنا نعم  
حروف أبلعت من قدرة  
ما جرى قط عليها قلم  
نونها الحاجب والعين بها  
طرفك الساحر والميم فم

- واذا كنت قد قررت أن الكتاب قد انتهى بوصوله بشعراء المغرب الى عهده ، فهذا التقرير منى حكم نقدى .
- أما عمليا ، فاننا نجد بعد ص ٩٤ صفحة كاملة معنونة هكذا :

## القسم الثاني من المرقصات والمطربات

وهو شيء كثير كثير ينتهي بصفحة ٢٨٧ .

لكنه من وجهة نظري لا يمت الى | عنوان المرقصات والمطربات | بآيه  
حسنة .

من موضوعات هذا القسم :

أخبار ابي نواس وجبان خاصة - نسب ابن عيينة وأخباره خبر بن  
سريج مع سكيئة بنت الحسين - أخبار عبد الله بن العجلان مع الجارية هند،  
ونحو ذلك مما يدل على أن من ألحقه بالمرقصات والمطربات قد أثقل على  
نفسه وعلينا وعلى الكتاب الأصلي .  
ولهذا دلالتان :

الأولى : أن هذا المضيف لم يفهم موضوع الكتاب وأكد أقول: لم يقراه .  
والثانية : أنه أراد أن يكبر حجم الكتاب من باب النفخة الكذابة حتى  
يبيعه بثمن أعلى .

لكنه - بهذا الذي ارتكبه في حق الحقيقة - ضال مضل وأنا لا أدمغه  
بهذا الحكم القاسى اعتباطا .

انظر : ها هو ذا يقول في نهاية المطبوع :

« تم طبع هذا الكتاب : المرقصات والمطربات في ٣٠ آذار ١٩٧٣ المأخوذ  
عن الطبعة الأولى المطبوعة في القاهرة سنة ١٢٨٦ هـ ، وهذه الطبعة - أى  
طبعته - تمتاز عن الأولى بتبويبها وتنسيقها والاضافات التي زيدت عليها  
بما يناسب موضوع الكتاب » .

واذن فهو قد أضاف الى الكتاب اضافات تناسب - في رأيه -  
موضوعه .

وهذا من اعجب العجب .

فهى أولا : آفات لا اضافات .

وهى ثانيا : لا تناسب موضوع الكتاب .

لكنه الجشع التجارى والطمع فى المال .

ولكنها بيروت وطبعها للتراث طبعا مسلوقا غير نااضج ولو أنه طازج .

## ٢ - الجواهر الحسان في نظم أولياء تلمسان

ليس لهذا الكتاب موضوع محدد ، وليس له كذلك مؤلف تنسبه له وترده اليه ولو ان محققه عبد الحميد حاجيات الأستاذ في كلية الآداب بجامعة الجزائر قد أظهره بما يدل على أن مؤلفه هو الشيخ الصالح ابو مدين شعيب .

وسر اسناد هذا الكتاب الى أبي مدين أن جامعه قد صدره بزجل وتوشيح ثم بثلاثة أزجال وتوشيح للسيد أبي مدين .

وأبو مدين هذا هو الولي الشهير أبو مدين شعيب بن الحسين الأنصاري . أصله من ناحية أشبيلية بالأندلس ، واما شب عن الطوق رحل الى المغرب ودخل في طريق الصوفية ، وقد اشتهر أمره ببجاية وكثير تلاميذه بها واقبل عليه الناس فيها التماسا لعلمه وبركاته واقتداء بطريقه .

وفى سنة ٥٩٤ هـ استدعاه يعقوب المنصور المرحدي الى عاصمته مراكش فرحل في اتجاهها ولكنه مرض في طريقه وتوفى قرب تلمسان فدفن بضاحيتها | العباد | .

هذا عن أبي مدين الذي ظهر الكتاب باسمه .

اما جامعه الذي جمعه وعنوانه فهو الأديب التلمساني محمد بن محمد امرابط .

وقد ذكر انه جمعه بطلب من المستشرق الفرنسي بروصلار الذي كان يشغل منصبا ساميا بتلمسان على عهد الاحتلال الفرنسي للجزائر .

واذا كنا لا نعرف شيئا عن محمد بن محمد امرابط هذا ، فالتنا نعرف عن بروصلار انه كان مهتما غاية الاهتمام بدراسة تاريخ تلمسان وآثارها الاسلامية .

ومن حسن الحظ انه كان مهتما كذلك بالادب الشعبي وبالموسيقى المغربية ذات الطابع الأندلسي .

ومن هنا جاء طلبه أو صدر أمره بأن يجمع له محمد بن محمد امرابط بعض المختارات المشهورة من ذلك الشعر الذى جسرت عادة الناس فى تلمسان بتلحينه وانشاده فى حفلاتهم الدينية والاجتماعية . وقد قام محمد بالمهمة التى وكل اليه الفياض بها خير قيام .

فجمع هذا الديوان ونسخه بخطه الواضح الجميل فى رمضان سنة ١١٧١ هـ الموافق شهر يولية سنة ١٨٥٥ م وسماه :

[ الجواهر الحسان فى نظم أولياء تلمسان ]  
وهو موجود فى المكتبة الوطنية بباريس ضمن المجموع رقم ٥٢٥٤ [ القسم العربى ] .

والكتاب فى جملة من الأدب الشعبى الذى كان متداولاً على الألسن أواسط القرن الماضى فى جمهورية الجزائر بعامة وفى ولاية تلمسان بخاصة ، ولرب أن محققه الفاضل قد وسع دائرته بقوله فى مقدمته : -

« ولا يخفى على القارئ الكريم أن الانتاج الأدبى المودع فى هذا المجموع يرجع الى تراث ثقافى مشترك بين سائر الدول العربية ، فكثير من الموشحات والأزجال الواردة فيه معروفة فى المغرب والمشرق العربيين ، مع اختلاف خفيف فى الروايات .

ولهذا رأينا ضرورة نشره ليطلع الجمهور المغربى بصفة خاصة والعربى بصفة عامة على نفائس من أدبنا الشعبى ، ولتصبح هذه النصوص المتقاة فى متناول هواة الموسيقى الأندلسية المتعطشين الى هذا النوع من ثقافتنا العربية ، ص ٨ - ٩ .

\*.:.\*

ومهما يكن من أمر هذا المجموع فإنه ينقسم الى ثلاثة أقسام رئيسية :-

القسم الأول : المدائح النبوية من ص ٢٣ الى ص ١٠٤ .

والقسم الثانى : الموشحات والأزجال الأندلسية من ص ١٠٥ الى ص ٢٨٢ .

والقسم الثالث : الحوازى . والحوازى جمع حوزى ، والحوزى فى اصطلاح المغنين والموسيقيين والأدباء المغاربة هو الشعر



المنظوم باللغة اندارجة حسب أوزان خاصة تخالف أوزان  
الموشحات والأزجال ، وبعبارة أخرى هو الشعر  
الملحون .

وقد شغل هذا القسم الصفحات من ص ٢٨٢ الى ص ٣٩٧ ، وبعد  
ذلك صفحتان مصيرتان ثم المراجع والفهارس الى ص ٤٢٧ وهي آخر  
صفحة في الكتاب .

\*\*\*

والآن . مع كل قسم من هذه الأقسام في دراسة موجزة تعريفاً بها  
وأمثيلاً وتعليقاً عليها .

\*\*\*



## القسم الاول

وموضوعه :

**المدیح النبوی والتہویم الصوفی**



وهو يبدأ بجملة من كلام شيخ العارفين وقدوة الصالحين سيدي  
أبي مدين الغوث . سبق أن قلنا : انها موشحتان وأربعة أزجال ، ولو أن  
ثمة شك في نسبة بعض هذه الأزجال اليه ، فهي توجد في ديوانه كما توجد  
في ديوان الشاعر الصوفي أبي الحسن علي النميري الششتري المتوفى  
سنة ٦٦٨ هـ [ انظر ترجمته في عنوان الدراية ص ٢١٠ ]

ثم ثلاث قصائد يزجل واحد للمسيد أحمد الجلبى

وقصيدة وزجلان للأديب الداودي القروى .

وأخيرا أربعة أزجال طوال من كلام سيدي أبي جمعه وهو من أولياء  
تلمسان المشهورين بها ، وقبره فيها عند باب كشيوطه المسمى الآن باسمه .

\*\*\*

والموشحان المنسوبان الى أبي مدين يمتازان بأن لغتهما صحيحة ان لم  
تكن فصيحة .

أما الزجل المسلم له به . والأزجال الثلاثة الموجودة على الأعراف  
بينه وبين الششتري فتتردد لغتها بين الفصحى والعامية .

من موشحته الأولى هذا البيت مع المطلع : -

|                          |                      |
|--------------------------|----------------------|
| أنت بما قد سقّيتَ شاربٍ  | من راحق كان أو كدر   |
| سهمك في الغير فيك صائب   | مالك عن نصله مفر     |
| ثمّاراً ما قد غرستَ تجنى | وهذه عادة الزمان     |
| خذ الحديث الصحيح منى     | كما يدين الفتى يّدان |
| من بات منه الورى في أمن  | بات من الدهر في أمان |
| الدهر بحر له عجائب       | وهو خطيب لمن نظر     |
| فاطرح الغىّ عسّد جانب    | وخذ على نفسك الحذر   |

\*\*\*

وواضح أن موضوع هذا التوشيح هو الحكمة ، وهو نظم للآية  
القرآنية الكريمة « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة  
شرا يره » .

مع الأخذ في الاعتبار أن رد الفعل الذي رصده صاحب التوشيح  
معجل لصاحبه في الدنيا ، أما الآية الكريمة فعامة تشمل الدنيا والآخرة .

وهذا التوشيح ثلاثة أبيات ، والغالب في التوشيح أن يكون خمسة  
وله مطلع أي أنه غير أقرع

وهو من مخرج البسيط ووزنه  
مستفعلن فاعلن فعولن مرقين

\*\*\*

والتوشيح الثاني لأبي مدين بعنوان :

[ ركبت بحرا من الدموع ]

وهذا هو مطلع البيت الأول :

|                                     |                        |
|-------------------------------------|------------------------|
| سَفَنَتْهُ جَسْمَى النَحِيلُ        | ركبت بحرا من الدموع    |
| قَدِ عَصَفَتْ سَاعَةَ الرَّحِيلِ    | فمزقت ريحته قلوعي      |
| تَجْرِي عَلَى الْغَدِّ كَالْعِيُونِ | يا جيرة خلقت عيوني     |
| مَا هَكَذَا كَانَتِ الظَّنُونِ      | خيبتم في الهوى ظنوني   |
| فَإِنْ هِجْرَانِكُمْ مَثْنُونِ      | مشوا ولا تطلبوا مثنوني |
| وَبِرِّدُوا لِعَسَةِ الْعَلِيلِ     | وجملوا الدار بالرجوع   |
| وَقَصَّروا الْبَلَى الطَّوِيلِ      | وسامحوا الطرف بالهتجوع |

ومعنى البيت واضح ولو أنه من الأدب الرمزي ، فهو يرمز بتمزيق  
الريح لقلوعه إلى عصف أهوائه به في أول عهده بالتصوف ، لكأنه ينبه  
المريدين إلى مشقة المرحلة الأولى من مراحل الطريق وهي التوبة وجهاد  
النفس والتغلب على ما ينتابها من خواطر ونزعات دنيوية .

\*\*\*

ونلاحظ أن قافيتى الشطرين الأول والثانى فى الغصن من المشتركه

هـ [ عيونى ] فافية الشطر الأول : جمع عين وهى الباصرة و[ كالعيون ]  
المشطر الثانى : جمع عين وهى عين الماء يريد أن يقول : ان دموع  
تحاكى فى غزارتها الينابيع .

وهذا الموشح أربعة أبيات وله مطلع وخارجة ، وهو - كسابقه - من  
اليسيط .

\*\*\*

ومن زجله المسلم له به وهو بعنوان :

[ دارت علينا كيوس ]

|                 |                  |
|-----------------|------------------|
| من خمره العالى  | ارت علينا كيوس   |
| الا بأمشالى     | لا تطيب النفوس   |
| فى حضرة المحبوب | ارت علينا كيوس   |
| ومن دخل بشرب    | اهل المعانى جئوس |
| الا لمن يقرب    | لا تطيب النفوس   |
| هذالك هو حالى   | حر المعانى نفوس  |
| الا بأمشالى     | لا تطيب النفوس   |

ص ٢٥ - ٢٦

هى الأصل [ البالى ] والمعنى به لا يستقيم ، فالبالى هو خمر الدنيا ،  
خمر المراد هنا وفى كل ما سياتى بهذا القسم ، فالمقصود به انما هو  
فى العباداة من ذكر وزهد وصوم وتهجد .

والمحبوب هو الرسول صلى الله عليه وسلم .

و اصراره على أن النفوس لا تطيب الا به وبأمثاله ، من باب احساس  
يقفسه واغراء الناس بطريقه ، فهو حى لهم على اتباعه وسلوك سبيله ،

ولا يصح أن نحمله محمل العجب بنفسه ، والادلال على الله وعلى الناس  
بصلاحه .

وفى الزجل نوع من التجريد نتمثله فى قوله :

[ اهل المعانى ] وفى [ بحر المعانى ] .

كما أن فيه اغراء بالوسيلة وهى الدخول فى الطريق ، وتشييرا بالغاية  
وهى القرب من الله الى درجة الالتصاق به والاعتناق له والفناء فيه ، وعلى  
حد قوله: « كل حقيقة لا تمحو أثر العبد ورسمه فليست بحقيقة » [ عنوان  
الدراية ص ٦٤ ] .

وهذا المثال - وهو من الزجل المتردد بينه وبين الششترى لأنه موجود  
فى ديوانيهما - يؤكد حرصه على تحقيق هذه الغاية بأية وسيلة . بل يثبت  
أنها قد تحققت له .

قال :

|                 |                           |
|-----------------|---------------------------|
| سـلـمـرـا حـالى | أنا يهواه وهو يعشقتنى     |
| نشـرـه الغـالى  | سـقـانى لما بدأ أنشقتنى   |
| هـو فى سـرـى    | هو لى رُوح" أقام البدنا   |
| ذاك هـو بحـرى   | لا تعوموا تفرقوا فى بحرنا |

ص ٣٣ - ٣٤

وترتفع حرارته الصوفية فيدخل أكثر وأكثر فى الذات الالهية الى حد  
الفناء فيها والفناء الثنائى بينه وبينها ، وهى هى نظرية الحلول التى عبر  
عنها أحد الصوفية - ولعله الحلاج - بقوله : « ما فى الجبة الا الله » .

أصغ الى قوله :

|                   |                      |
|-------------------|----------------------|
| وهـو لى يـعـشـقـه | قلت انى أبدا أعشقتـه |
| وهـو بى أشـسـرقـه | وأنا مغربته مشسرقته  |
| انما هو النـجـسـق | فى ثناياه ومن يلحقته |



نو تروا حين تدلني قدنا  
ومحت وحدتنا اثنتا  
ساعة الذكر  
واختصر، ص ١٥  
ص ٢٤

نضع خطا تحت البيت الآخر . فهو ذروة التصريح بالوحدة القائمة  
بين العبد وربه .

\*\*\*

وننتقل الى كلام السيد / أحمد الجبلي رحمه الله وهو ثلاث قصائد  
وزجل واحد .

وقد جاءت قصائده باللغة الفصحى .  
أما زجله فيتنزل عن ذلك قليلا . ربما كثيرا .

قال من قصيدة :

[ صل يا ربى على من نوره ]

صَلِّ يا رَبِّي على مَنْ نوره  
يتجلى مستطيلا في النحلِكَ  
يا حبيبا في ضلوعي قد سَلَّكَ  
مَسَلَّكَ الروحِ وقلبي قد مَلَّكَ  
كما أَلْفَيْتُ في قلبِ الحشا  
من ماوى ومشاوى فهنى لك

والبيتان ١ ، ٢ معناهما واضح ، أما البيت الثالث فمعناه :

روحى لا تحب سواك ولا تعلق لها الا بك .

\*\*\*

ومن زجله الذى عنوانه | مرحبا شهر التهام | .

بقصد التهامي وهو محمد صلى الله عليه وسلم ، نسبة إلى تهامة وهي  
قريش أو مكة ، وشهر التهام هو شهر ربيع الأول .

قال :

مرحبا شهراً التهام موله خير الأنام  
صاحب الحُسن العجيب الشفيح يوم الزحام  
الرسول طه الحبيب  
حين أتى زين الملاح قد أتانا بالصلاح  
وتمّ العيش الخصيب هو باب للنجاح  
بغيتي طسه الحبيب

من ٥٩

ولا تعليق لنا سوى قولنا : انه زجل ضعيف فنيا .

\*\*\*

وبعد الجلبى نلتقى بالولى الأديب سيدى الداودى الفروى وقد شارك  
فى هذا المجموع بقصيدة وزجلين .

أما القصيدة فقد صدرها، بقوله ،

صلى يارب على من فضله  
يتجلى للورى يوم التسلافي  
ياحبيباً طال عني بالفسراق  
ما الجفا يصلح بي بعد التلاق  
ان دمع العين بالحب جرى  
فوق خدى واتفى طب المذاق

٦٠٠

- وهى قصيدة تأتي فى الدرجة الدنيا من السلم البلاغى
- ولا يفضل زجله شعره ، بل انه يتدنى عنه الى ما تحت الصفر

قال :

يا قوم اوتحش قلبى بمحبوبى  
سلطان المعاشق سيّد الأما  
أملكنى الهوى وكثرت انحوبى  
ودمع الجفون تهطل كهطل التما  
ابمتا تنظروا ونشفي مرغوبى  
يهنا حاطرى وأزول ذاك الغما

ونشفي الغرام فى خير الأنسام  
ونبلغ مقبل السادات الكرام

ص ٦٧ - ٦٨

ومع أن هذا الزجل غير موزون ، وكان منتظرا - والحالة هذه - أن يكون واضحا لعدم تقيد بوزن معين ، الا أنه كله لاو بعضه فى حاجة الى توضيح

فعبارة [ اوتحش قلبى بمحبوبى ] تعنى أن محبوبى قد وحشنى ، وأن قلبى قد اشتاقه

- و [ سيد الأما ] أى سيد الأمم وهو محمد صلى الله عليه وسلم
- أما [ املكنى الهوى ] فمعناها : ملكنى الهوى وصرت أسيره
- و [ كثرت انحوبى ] معناها : كثر نحيبى وتعددت مرأته
- و [ الماء ] قصر للماء الممدود
- و [ ايمتا ] معناها : متى
- و [ السادات الكرام ] هم الزهاد المتصوفون

\*\*\*

ونصل الى أبى جمعه المدفون بتلمسان ، وقد قلنا ان قبره بها أحد مزاراتها وأن اسمه علم على حى من أحيائها وليس له فى مجموعنا سوى زجل واحد أوله :

يا ليلةً جاءتْ بأشراحْ      صباحها أفضل صباح  
يا ليلةً جاءتْ بالسرورْ      صباحها يسلى الصدور

ومنه :

لما بدا ضوءُ النهار      والصبُّحُ أشرقُ واستنارُ  
هبَّ النسيمُ فاحَّ الزهرُ      والياسينُ اغبثُ وفتاحُ  
والوردُ والسَّنسانُ فتَّحُ

ص ٧٨ - ٧٩

وهو من بحر الرجز ووزنه  
مستفعلن مستفعلن مرتين

أما أحمد التريكى وهو آخر أدباء هذا القسم ، فيظهر أنه كان من الظرفاء أكثر منه من الأولياء .

ولد بتلمسان أواسط القرن الحادى عشر الهجرى وتوفى أوائل القرن الثانى عشر ، نبغ فى نظم الحوزى ، ولما كثر غزله - ولعله كان غير عاف - ضاق الناس به ، وطالبوا السلطات باخراجه من المدينة ، فأرغمته على الهجرة الى [ وجدة ] حيث عانى آلام الغربة والشوق الى الأحباب .

وقد استفاد الأدب من ذلك ؛ فقد نظم أحمد فى غربته أروع شعره .

ونجد له فى هذا القسم ثلاثة أزجال ، هذا مطلع آخرها :

نِلتَ الغرامُ      بالله حادى القطارُ  
قف لي بتلك الديارُ      واقنمرا السَّلامُ  
سلم على عربٍ فجدِ      واذكرْ صنبابتى ووجدى  
كيسفُ يثلامُ      من بادرتَه الدموعُ  
شوقا لتلك التربوعُ      مع المَقَّامُ

ص ١٠٠

وواضح أنه فى هذا الزجل له يتحرق شوقا الى مهبط الرى . ويتمنى  
لو ذهب اليه وعاش فيه .

\*\*\*

بهذا ينتهى القسم الأول من الكتاب ، وهو - كما رأينا - فى مدح  
الرسول وتمجيده وفى الترحيب به وبشهر ربيع الذى أطلعه ، وقد رأينا  
قطبه أبا مدين وهو يدخل فى ضمير الله ، أو على الأقل يقف وراءه بحيث  
لا نراه .

\*\*\*



## الفسم الثاني

الموشحات والازجال الاندلسية





وهو يشتمل على ست وخمسين قطعة . منها خمس وأربعون مجهولة  
القاتل . واحدى عشرة منسوبة الى اصحابها وهم أقل منها عددا .

وهذا بيان بهم وبعمالهم حسب مجيئهم فى المجموع

ابن نسل الأندلسى وله توشيحان ص ١٠٧ ، ص ١١٢

الاعمى التطلبى وله توشيح واحد ص ١٤٩ وحمسة أزجال من ص ١٥٢  
الى ص ١٦٤ .

لسان الدين بن الخطيب وله توشيح واحد ص ١٦٥ - ١٦٩

الموصلى وله توشيح واحد ص ٢٢٥ .

محمد بن أخضر وله حوزى واحد ص ٢٧٢

وحق هذا الحوزى ان يكون فى القسم الثالث

\*\*\*

ومن الطبيعى ألا يكون لهذا القسم موضوع معين أو اطار محدد

فموضوعاته تعالج الموضوعات التى تعالجها الموشحات غالباً وهى  
الغزل القائم على ذكر محاسن المحبوب ووصف ما يلاقيه المحب من شوق  
ولوعة ، ثم وصف الطبيعة غاية أو وسيلة يجعلها برواز لفاتن العشوق .

وأزجاله متعددة الأغراض مختلفة المقاصد

وما لاحظناه فى القسم السابق نلاحظه هنا ، وهو أن لغة الموشحات  
فصحى أو على الأقل سليمة .

أما الأزجال فعلى العكس من ذلك ، وغالباً ما تأتى ملحونة وفى منزلة  
وسطى بين المرشج والحوزى بل قد تكون لغتها قريبة من لغة الحوزى ،  
ولعله - لهذا اشتبه الأمر على محمد أمرايط جامع الكتاب ، فوضع حوزى  
ابن أخضر فى هذا القسم | ص ٢٧٢ |

\*\*\*

ولا طاقة لنا هنا على عرض هذه الأجزاء وتحليلها واستخلاص خصائصها الفنية ، فهي كثيرة ، كثرة مفرطة ، وتمثل - في هذا القسم - أغلبية ساحقة ويتأكد ذلك أكثر حين نذكر أن عددها ثمانية وثلاثون زجلا من مجموع الأعمال الأدبية فيه وهي - كما ذكرنا - ستة وخمسون .

ولن يمتعنا ذلك من التجوال فيها والتمثيل لها وذكر بعض أغراضها .

ولنبداً بأولها الذي يفتحه صاحبه المجهول مصنعا بترتيب أبياته على

أحرف الهجاء هكذا :

ألف : ألفت البكا بعد الحبيب

الثا : ثياب حسنى تحيل اصفرار

الثا : ترى دمي دما يجرى سكب

الثا : ثياب جسنى تحيل اصفرار

الجيم : جمارى فى الحسا شعلت وقود

الحا : حرم عن مقلتي جيش الكرى

الخا : خشيت واشتفقا وفيما المسود

الذال : داب جسسى وفي قلبي جمر

الذال : ذقت من العنقا كأس الصدود

الرا : رويت من الهوى ذل الورى

ص ١١٧ - ١١٨

وواضح أن موضوعه انما هو وصف حال المحب وما يعانيه فى سبيل

محبوبه من أسى ولوعة ، أما معانيه فمتكررة .

\*\*\*

وهذا زجل ماجن عنوانه :

[ املاكيوس الخلاعا ]

يقول صاحبه فيه :

تستغنىموا أيام الشرور

اغنم زماثك لا يدور

افرح واسنكر مع الحبيب

املاكيوس الخلاعا

الدهر ساعا يساعا

اغنم زماثك بواجب

في روض باهى الذوائب  
بالسكيترا والربائب  
أم الحسن في ارتفاعا  
تغنيك عن جمع الصنائعا  
والطير من فوق القضيبة  
والزنج والتقنر العجيب  
تفخر على جمع الطيور  
وتلهمك للكاس يدور  
س ١٣٦ - ١٣٧

والزجال هنا خيامى النزعة فهو يدعو الى الخلاعة وشرب الخمر حتى  
السكر مع الحبيب على أصوات الموسيقى وغناء الطيور وبخامسة أم الحسن  
وهي طائر مشهور في المغرب بالترديد العذب والتطريب الحنون .

\*\*\*

ويستوقفنا هذا الزجل بلغته التي تكاد تسلم من الخطأ :  
بأبي ظبي ربربي  
من بنى الشرك أشنبي  
كم عشيق به سببي  
مأس قده القويم  
ناحل خصره الهضم  
أخجل الشمس والقمر  
قد حوى الحسن واقتخر  
لازم النخب والسهر  
كامل الزنر مثبتهج  
والله اعظ بهم دعج  
ص ١٥٤ - ١٥٥

الزجال المجهول هنا يصف المفاتن الجسدية أحب إليه ، وهو إذ يفتديه  
بأبيه يلفتنا الى ما شاع واشتهر من جمال نساء الترك ، ومعلوم أن قلمسان  
سقطت في أيدي الأتراك العثمانيين سنة ٩٥٣ هـ ، وقد ظلت تحت حكمهم  
الى أن استولى عليها الفرنسيون سنة ١٩٢٠ م .

وإذن فاعجاب الزجال بجمال المرأة التركية اعجاب في محله وعن  
بينة .

\*\*\*

ولا نعدم بين أزجال هذا القسم غزلا عفا يشبه أن يكون غزلا صوفيا  
مثل :  
يا عاشيق هذا الشوى  
ذاب ذا القلب وانكوى  
يسوم باناسوا أحبيتي  
واشعلت ليران زفرتي

يا أخى صابنى الهوى  
انى برى منتصر  
طال بي هذا الأمر  
يا كريم عقلى صار يغيب  
عيدلى يا الله اش حيلتى  
ومن قصده ما يخيب  
واوتحش قلبى للحبيب  
واوتحش قلبى للحوى  
ص ١٦٣ - ١٦٤

\*\*\*

ومثل :

بكنغ الى أهل الديار  
وول لهم : الانتظار  
مالى على الهجر اصطبار  
جبرى على فى المغيب  
ما كنت تطلب يا رقيب  
منى السلام  
زادنى هيام  
أو لا ملام  
حكهم القدر  
اليوم حضار  
ص ١٧٤

وهو زجل سليم من بحر الرجز ، ووزنه مستفعلن ثلاث مرات .

\*\*\*

وهذا زجل فى التمنى والعتاب :

الله لا يقطع لى نصيب  
لاش الحبيب ينسى الحبيب  
هذالك جزا قلبى الكئيب  
أنظر باش بدلتنى  
اعلاش غزالى خنتنى  
حسى ثقبل و جنتك  
ما اصعب على فرقك  
الللى حصل فى عشقتك  
خدت الشمال عوض اليمين  
الله يخون الخائنين  
ص ١٧٩ - ١٨٠

\*\*\*

وزجل يصف العشاق بأنهم رفاق النفوس ص ١٨١ - ١٨٣

وزجل فى وصف مجلس أنس ص ١٨٤ - ١٨٦

\*\*\*

وهذا زجل يتغزل صاحبه فيه بحبيبه غزلا ماديا بحتا ، فهو يصف قده  
ونهدد ويستجديه قبله ثم يعاتبه على صده بقوله :

|                         |                    |
|-------------------------|--------------------|
| دعنى تتعدن في وصلك      | وانتجدد فيك ولاعا  |
| حين ترى قدك ونهدك       | ننسحر من نظر سعا   |
| هات لي قبلا في خدك      | يا شبيه ضى السماءا |
| ذا النكار واش هكذا يبقى | مترقتى في سوء حالى |
| العاشق يتعب ويشقى       | هذا في عشقك جرى لى |

ص ١٨٨



وزجل بعنوان [ لاش تنحب لا تنحب ] ص ١٩٢  
وزجلان فى وصف الربيع ص ١٩٨ وص ٢٦٠ .



وربما كان الزجل المقبل من الغزل بالمذكر وهو :

|                      |                   |
|----------------------|-------------------|
| يا بئو العيون النيام | عذبت قلنى الحزين  |
| تخضع وترعى الذمام    | عما كتب فى الجبين |
| طايح لأمرك يا اغلام  | يا محنة العاشقين  |
| اعطف وكف الجماح      | تخمد لهيب حرحسى   |
| يا بئو العيون الوقاح | افنيت نا بغيتى    |

ص ٢٣٨



ولا يسعدنا فى ختام هذا القسم الا أن ننوه بغزارة مادته وصدق عاطفته  
وتمام علامته للمتذنين به والستمعين له .  
ومن خصائصه الفنية البارزة :

انسجام نغمه ، وهدهد موسيقاه ، وتنوع الأرقام التى يضرب عليها  
فى النفس الانسانية .





## القسم الثالث

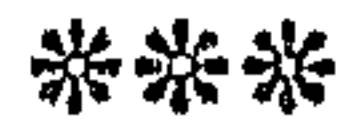
### الحوزى





وقد سبق التعريف به ، ومن الملفت للنظر في هذا القسم ان نصوصه كلها .وثيقة بمعنى أن كل حوزي منسوب الى صاحبه فتلاثة الأحواز الأولى مضافة الى قائلها ابن مسايب وبعدها خمسة أحواز لابن التريكي :

ثم حوزان اثنان لمحمد بن سهل ، وحوزي واحد لابنه أبي مدين .



ونظرا لأن هذه الدراسة قد طالت بنا وتجاوزت حدها المرسوم لها ، فاننا سنكتفي بجزء من حوزي واحد لكل مؤلف .  
ويسهل تقبل ذلك اذا علمنا أن الأحواز في ذاتها طويلة بشكل واضح .

### أولا : ابن مسايب

وهو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مسايب ، ينتمي الى أسرة أندلسية نزلت مدينة فاس ، ثم استقرت بتلمسان التي ولد بها في أوائل القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر الميلادي .

وقد عرف عنه حبه الأكيد لتلمسان وحزنه الشديد على ما أصابها من نكبات وكوارث .

ومع أن أول أحوازه في تمجيدها والوقوف عندها بكاء على أطلالها ، إلا أننا سنتجاوزها الى حوزة الثالث ، فهو يدل على اقتداره العجيب في الصنعة .

وإذا كنا قد أعربنا في القسم الثاني بزجل مشتتمس على الحروف الهجائية بمعدل شطرة واحدة لكل حرف ، فإنا هنا نجد أن الأبجدية العربية قد ظفرت بثمور وثلاثين مقطوعة بمعدل مقطوعة لكل حرف ، وكل مقطوعة تتألف من ثلاثين حرفا ، وهي من شنوان الحوزي مع ملاحظة أنه قدم للحوزي مقطوعة مزبوجة وأنه أتقن بحرف الألف خصه بأربع مقطوعات ، ربما لأنه الحرف الأول ، ولكل أول اعزاز .

قال :

يَا الْوَشَّامُ

يَا الْوَشَّامُ دَخِيلٌ أَعْلِيكَ      كُن حَازِرًا فَكَاهِمٌ نَوْصِيكَ  
أَخْفَضَ وَالْخَفَضُ أَيَوَاتِيكَ      أَوْ رَطَّبٌ يَدُكَ لَا تَأْذِيهَا  
مَا الْوَشَّامُ أَوْ شَمٌّ وَلَفِي      شَيْءٌ أَوْ شَامٌ أَظْرَبُ الْكَفِ  
أَوْ رَتَّبَ أَحْرُوفًا هَجَا وَصَفَى      فِي الْمَرَاتِبِ وَاهْتَدَايَهَا

يَا الْوَشَّامُ

دِيرِ أَلِفٍ : أَلْفٌ مِيَّامَا      مِنْ الْعَرَبِ وَأَنْجُوعٌ أَقْوِيئَا  
أَوْ رَكَّبٌ أَمْحَالٌ الْوَنْدِيئَا      أَوْ جَابَهَا الْبَايَ أَوْ حَابَهَا

يَا الْوَشَّامُ

أَعْمَلُ أَلِفٍ أَلْفِينَ أَرْنَادُ      وَأَعْمَلُ أَعْسَاكِرَ وَالْقِيَادُ  
وَالطَّبْشُولُ أَرْعَدُ تَرْعَادُ      وَالخَيْشُولُ أَتْشَالِي لِيهَا

يَا الْوَشَّامُ

أَعْمَلُ أَلِفٍ أَلْفٌ مَرْكُوبُ      حَرَبَتْ لِنَمِيدَانِ أَحْرُوبُ  
وَاهْتَلَهَهَا مَا يَرْضَاوَا أَحْرُوبُ  
كَلُّ يَوْمٍ أَقْمَسَرُ تَجْلِبُهَهَا

يَا الْوَشَّامُ

أَعْمَلُ أَلِفٍ أَجْنَحُ مَهْنِيهِ  
وَأَمٌ لِحَسَنُ وَأَطْنِيُورُ أَخْرِينُ  
أَمْنِينَ يَنْطَقُوا أَبْصُوتُ أَحْنِينُ  
أَيْهَبَلُوا كَدْنِيَا وَاهْتَلِيهَا

## يَا الوشام

دير البنا : بهنجة الأسرار

فالمشع وامنازه واديار

او حصن البيان أو الأصوار

واعمل العسا تحنصيا

## يَا الوشام

الوشام : صانع الوشم وهو زرع اللون الأخضر نقطا أو رسما أو اسما  
في مواضع معينة من جلد الانسان .

اخفض : كن معتدلا في الأجر . الخفض = الغنى . رطب يدك = خفف  
يدك في الصنعة بحيث لا تؤلم من تشمهم وبخاصة حبيبتى فلا تؤذى يدها  
وانت تمارس وشمها .

شى أوشام : بعض الأوشام التي تجعل كف وليفى ظريفا .

أو رتب حروف اهجا وصفى : يعطيه التسلسل الأبجدى ليكتب بمقتضاه  
ويهدى بهديه .

النجوع = جمع نجع والنجع : المكان فيه الكلا ينتجعه الرجال الأقوياء  
أى يقصدونه نشدانا لما فيه من مرعى لأنعامهم .

امحال الونديا : أماكن العساكر الونداليين أى ارسهم فى حالة  
استعراض السلطان لهم ورده على تحيتهم . ازناد : بنادق : مجاز مرسل  
علاقته الجزئية .

الطبول اترعد اترعاد : ترعد اترعاد أى تصدر أصواتا عالية كالرعد .  
والخيول اتشالى ليها : ترقص والمقصود هنا تقفز على وقعها .  
مركوب : ما يركب من أفراس وجمال ونحوها .  
حريت للميدان احروب : حاربت فى المعارك حروبا كثيرة عظيمة .  
وأهلها ما يرضوا هروب . . . : وفرسانها لا يهربون وكل يوم يبرز  
من بينهم بطل معلم يحسه كل الناس كانه القمر ليلة تمامه . جناح = طائر :  
مجاز مرسل علاقته الجزئية .

مقنين : طائر معرد • أم الحسن : البلبل •

امنين يبطقوا ••••• : كلما غردوا بصوت حنون هيجوا الدنيا وأهلها  
الى درجة الافتنان بها، وفقد الاتزان معها كأنهم جنوا •

الأسرار : الأرواح • فالمتع : المتع • وامنازه : المنازه أى المتنزهات  
من حدائق ومياه جارية وأودية خضراء • وأديار : والديار : جمع دار •

العسا • العسس • تخطيها = تحرصها •

وابن مسايب هنا ينصح الوشام بأن يكون حذرا وماهرا فى صنعته  
كى تكن متقنة ومريحة •

وبأن يكون معتدلا فى تقدير اجرد • ويعسده بأنه ان فعل ذلك ، فان  
عملاءه سيكثرون ، ويكون ذلك سببا فى غناه وخفض عيشه ويناديه ليوصيه  
بأن يشتم وليقه على كفه وسما جميلا دون أن يؤلمه ثم يطلب منه أن يرصده  
وهو يسجل بحوزه حروف الهجاء مرتبة ليعرف تسلسلها أولا وليستوحى  
مقطوعاته فى صدره ثانيا •

الألف :

ارسم ألف مائة عربى ينتمون الى النجوع المشهورة بالبأس والقوة •  
• ركب صورة تمثل الجنود الونداليين وهم فى أماكن تجمعهم يعظمون  
السلطان والسلطان يعظمهم أى اعمل صورة لجيش عربى أو أجنبى •

والألف يمكن أن تكون طرة لصورة مكونة من ألفى بندقية ومن جيش  
كامل بعساكره وقواده •

كما يمكن أن تكون طرة لصورة مكونة من ألف فرس حاربت حروبا  
هادلة وهى تثب من فوق الأرض بفعل الطير، التى تصيد أسواقا كالرعد •

أما فرسانها فشجعان يقدمون ولا يحجسون ، وكل يوم يخرج من بين  
ذرفهم بطل •

ويدلله على أنه يمكنه أن يرسم العديد من الطيور التى تفتن الدنيا  
وأهلها بأصواتها الحلوة •

تلك كانت مقطوعات الألف

أما مقطوعه الياء فمعناها : ان بهجة الأرواح وفرحتها تكمن هي المتع  
التي تكون أطرها المنازه والدور مع الشعور بالأمن ، ومن اجل هذا يجب  
تحسين الابواب والاسوار واقامة العسس للحراسه .

\*\*\*

ثانيا : احمد القريني

ولد بتلمسان وعاش فيها وتوفى بها اوائل القرن الثاني عشر الهجري .

وقد سبق ان قلنا : انه الى الظرفاء اقرب منه الى الاولياء ، بسبب  
غزله المكشوف الذي جعل أهل تلمسان يتظاهرون ضده ويطالبون بنفسه وقد  
استجيب لهم حتى لا يفسد أخلاقهم وأخلاق بناتهم وبناتهم .

وهذا الحوزي له وعلى وجه التحديد : الجزء الذي سنورده منه  
موضوعه : الشكوى مما يلاقيه من حب وعذل .

وهو فيه يحلم بالهناء واللعب والانبساط مع الحبيب بعد ان يلبسه  
أغلى الثياب ويحميه من أية مشقة ومن أى عذاب .

وانه ليأمل أن تتحقق له هذه السعادة فى اطار من الجمال المسموع  
التمثل فى موسيقى الطيور الباغمة كالضبا والفخوت والأوز والحمام واليمام .

والجمال المرئى المتمثل فى الزهور من ورد ونسرين ونعناع .

اكنه يصحو من حلمه الحلو على واقعه المر وهو الحرمان الأليم فيعترف  
بأنه ابتلى بما لم يبتل أحد به من حرقة ولوعة وأسى . وبأنه هو الذى ألقى  
بنفسه الى التهلكة : فرجله هى التى مشت به فى طريق حبه ، وعينه هى التى  
اكتشفت جمال محبوبه ، وبسبب معشوقه الذى لا صبر له على فراقه أهدن  
درسه ونسى لريحه وقرانه

\*\*\*

وإندعه هو بشكلم ، قال بعنوان :

[ فيق يا ناييم ]

فِيَقْ يَا نَائِمٍ وَاسْتَيْقَظَ مِنْ الْمَنَامِ  
وَاسْتَعْنَى لِكَلَامِي يَا خَائٍ وَافْهَمُوا  
صَادَ قَلْبِي مَحْنًا وَاعْذَابٌ وَانْتِقَامٌ  
مَا قَوَّيْتُمْ اعْلَى هَذَا السِّرِّ نَكْتَمُوا  
يَا ابْنَاتِ الْبَهْجَا كَفِّشُوا مِنَ الْمَلَامِ  
سَلِّمُوا لِكَمَشْنُورٍ فِي الزَّيْنِ سَلِّمُوا  
يَا ابْنَاتِ الْبَهْجَا كَفِّشُوا مِنَ الْخَطَابِ  
يَسْتَحَقُّ الزَّيْنُ أَنْ يَكُونَ أَمْوَاجِبُوا  
حُسْنُ كَامِلٍ وَاهْنًا وَبَسْطٍ وَلَعَابِ  
وَالْتَبَّاسُ الْعَالِي وَمَا ابْنَا سَبُّوا  
مَا ابْتِخَافَ امْتَشَقَّتَا مَا يُوَسِّلُوا عَذَابِ  
فِي قَنَبِ وَأَمْعَادِي بَلَمَا ابْنَسَيْبُوا  
وَالضَّبَّاءُ وَالْوَزُّ أَوْفَاخَتْ أَمْعَ الْحَمَامِ  
وَاليَمَامُ ابْنَادِي وَأَطْبُورُ يَبْنَعُوا  
وَالزَّهْرُ وَالنَّسْرِيُّ وَالْوَرْدُ فِي ابْنَسَامِ  
وَالْحَبِيقُ وَالْخَيْلِيُّ بِاللَّيْمِ بَرَجْمُوا  
سَلِّمُوا يَا الْارِيَامِ الْكُلَّ سَلِّمُوا  
يَا بَنَاتِ الْبَهْجَا صَادَفْتِ وَأَبْتَلَيْتِ  
وَلَا ابْتَلَى حَدًّا بِنِيرَانِي أَوْ لِيَعْتِي  
رَادَ لِي اللَّهُ وَابْتَلَى لِي بِالرَّجْلِ مَشِيْتِ  
رَاوِ عَيْنِيَا تَهْزُوَالِي أَوْ كَيْتِي  
ضَاعَ صَبْرِي وَدَرْتُ أَجْمِيعَ مَاقْرِيْتِ  
مَنْ أَهْوَى ذَالْهِيفَاتِ ابْتَسَيْتِ لَوْحَتِي

وأعذر عن هذا الطول في التمثيل بأن عدد أبيات الحوزي الذي أوردت  
هنا صدره اثنان وسبعون بيتا عدا اللازمة التي كان يجعلها  
[ سلموا يا الاريام الكل سلموا ]

- كما هنا - مرة ، و [ سلموا يا الاريام فى الزين سلموا إمرة أخرى  
على التوالى ، الى أن كانت المرة الأخيرة فجعلها  
سلموا للمشور فى الزين سلموا

المشور : هو الموكب الحافل بالمشاهد الجميلة كموكب الملك وموكب  
العرس .

ومعنى اللازمة الخاتمة على هذا : أنه يطلب من الفتيات الجميلات  
المنافسات لمحبوخته عنده أن يسلمن لها بالغلبة على قلبه .

\*\*\*

ولفهم هذا النص أكثر نعطي معانى مفرداته الصعبة وجمله الغامضة :  
استغنى لكلامى يا خاى : أصغ لكلامى يا أهى .

٨٩ محنا : محنة .

بنات البهجا : هن بنات الجزائر العاصمة ، وكبنات كل حاضرة  
الشأن فيهن أن يكن جميلات أو على الأقل يغلب عليهن الجمال .

المشور - كما قلنا - هو الموكب الحافل بالمشاهد المثيرة كموكب السلطان  
وموكب الفرخ : أى لا تجازفن يا بنات الحاضرة بأندخول فى تنافس مع  
حبيبتى فطريقها الى قلبى أقصر من طريقكن .

كفوا عن الخطاب : لا تدخلوا معى فى حوار من أجل موفى من حبيبتى  
وهو موقف الميل اليه والحب له دونكن .

يستحق الزين اىكون امواجبوا : فحبيبتى المليح جدير بحبى له وانعطافى  
نحوه ومبررات ذلك حسنه الكامل وما أرجوه معه من هناء ولعب وانبساط؛  
ومن أجل هذا اشتريت له اللباس الغالى الثمين ، وأرى مع ذلك أنه أقل منه  
ولا يناسبه .

ما يخاف مشقا ما يوصلوا عذاب : وسأضمن له الأمان من الزمان  
فلن يخاف مشقة ولن يصل اليه عذاب .

فى قيب ومعادى الما ايسيوا : وسألتقى به فى الخيمات المقامة عند  
المياه الجارية حيث الطيور الباغمة المغردة ، والجو العطر بالورود والزهور  
والنسرين والحبق ( النعناع ) والليمون .

الارياام . الطباء : استعارة تصريحية .

ابتليت : امتحنت . ليعتى : لوعتى وأسائى .

راو عينيا تهو الى او كيتى : اشهدكم على ان عينى هى التى رات حسن  
حبيبى فأوقعتنى فى حبه الذى اکتويت بناره .

ودرت : اهدرت ما تعلمته بسبب حبي لذلك الأهيف الجميل .  
انسيت لرحتى . نسيت قرانى الذى كنت قد كتبتسه فى لوحى ثم  
حفظته .



ثالثا : محمد بن سهلة

كان من الشعراء المشهورين بتلمسان وقد نلب على شعره الغزل الى  
ان توفى اوائل القرن الثالث عشر الهجرى .

وحوزيه الذى سنورد هنا صدره بعنوان :

خاطرى بالجفا اتعذب

قال :

خاطرى بالجفا اتعذب      لبنا ينسى الغزال  
مسبوغة الانتجال  
نارها فالديبل نلهب      حرقت جوفى او جيحت  
غصنى وادبال  
ما صبت اطييب للغزال      اعيت انسال  
قلبي منحون بالغرام      ومرفسى طسال  
انسبابى فاطمهسا      امنيتت الخنخال  
آش ادواه يا الطسال  
غسان ادواه يا الطسال



أَلطَّالِبُ عَيْدِي لِي الثَّرِيْبِي  
أَمْرِيضُ الْحُبِّ بَاشِرٌ يَبْرَأُ  
غَابَ ادْوَايَا أَوْ غَابَ طَبِّي  
أَفْنَيْتُ أَوْ لَا وَجَدْتُ صَبْرًا  
عَمَدًا لِي يَا طَبِيبَ قَلْبِي  
ضَمَّرْتُ لِي فَالِدَلْبِ لُ جَمْرًا  
كَانَ انْتِيَا لَبِيبِي جَرِيْبِي  
سَبَّبَ لِي وَافَهَمَ الْيَشَسَارَا  
شَوْفَ لِي فَالْكَتَّابِ وَاحْسَبْ  
كَانَ انْتِيَا اَطْفَيْتُ مَنِي ذَا الْمَشْتَعَالِ  
ذَاكَ الَّتِي شَكَّرْتُ وَاجَبْ

نَضْحَى عِنْدَكَ أَخْتَدِيْمُ مَمْلُوكِ ابْلَا مَالِ  
ص ٣٧١ - ١٩٧٣



- انتهى ما أردنا اثباته من الحرزي الأول لمحمد بن سهلة .
- وهذا هو شرحه تفصيلا أولا واجمالا ثانيا .
- خاطري : بالي أي قلبي .

لِبا : أباي ولم يرد نسيان حبيبتى التى نسيته الغزال الأكل فى دمع  
العينين ونجلهما .

- نارها ذالذليل تلهب : نار حبها فى قلبي تشتعل .
- ما حببت : ما أصبت أى ما وجدت مع أننى تعبت من السؤال .
- قلبي ممحون بالغرام : قلبي فى محنة من حبي .

أسبابى فاطما امنيت الخلال : الصلات بينى وبين فاطمة هى صلات  
الحب والعشق من جانبى . وهى فتاة ممثلة الساقين فخالخيلها تضغط  
عليهما وتترك فيهما أثارا زرقاء كالنيلة .

- يمدحها بالسمنة وهو امتداد لقرولهم [ خرساء الأساور ] .

أش ادواه الطالب : ما دواء قلبي يا طالب ، والطالب هو العراف  
الذي يمارس السحر ، ولا عجب ؛ فالبيضة مغربية ، ونحن في الشرق نعتقد  
أن المغاربة هم الأصل في ذلك ونتعلم عليهم فيه وهذا النص يؤكد ذلك .

الطالب عيد لي الربى : كرر النظر في كتبك واستفتت نجومك لي من  
أجل ربي أي وحياة ربي .

امريض الحب باش يبرا : هل يشفى المريض بالحب ؟ استفهام بلاغى  
غرضه التمنى . أو الرجاء .

عمدا لي يا طبيب قلبي : أسرع الى وأغثنى يا طبيبي .

ضمرت لي فاللدليل جمرا : ألقى فاطمة في قلبي جمرة فاستقرت في  
عمق العمق منه وقديما قال كعب بن زهير : [ فقلبي اليوم متبول ]

كان انتيا لبيب حربى : ان كنت مجربا وماهرا .

سبب لي وافهم اليشارا : افهم ما تقوله لك الكتب ، وما تشير  
شوف لي فالكتاب واحسب : به عليك النجوم في أمرى ، ثم اكتب  
لي حجابا يجعلها تحبني

كان انتيا اطفيت منى ذا المشعال : فاذا أنت جعلتها تحبني وتندى نار  
حبي لها بوصلها والقرب منها .

ذاك اللى شرطت واجب : ان أنت نجحت فيما أنت بصدده من أمرى  
فانى ساشترط على نفسى شرطا واجبا على تحقيقه .

نضحى عندك اخديم مملوك ابلا مال : اصير خادما عندك ومملوكا لك  
أى أعمل لديك وأخدمك دون أجر .

\*\*\*

والمعنى الاجمالي هو :

قلبي تعذب بالجفاء لأنه لم يرد نسيان حبيبته التي تشبه بعيونها النجل

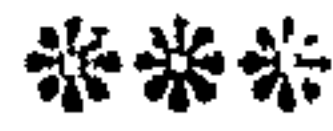
الغزال الأكل ، ولأنه لم ينس ثاب نار حبه قد التهبت فى قلبه وأحرقته  
وقيحته حتى ذبل جسمه .

ولقد أعياه البحث عن طبيب فلم يجد ، وقلبه لهذا فى محنة بفراجه  
وسقامه قد طال

ويضيق بكم سره فيصرح باسم حبيبته ونعرف أنها فاطمة ذات الساقين  
المتلثنين ، وخلاخيلها لهذا تترك على بشرتها آثارا زرقاء تشبسه الذيلة  
وبالاجتهاد فى البحث اهتدى الى عراف أى منجم ، فأخذ يسأله عن دوائه  
ما هو ؟

ويغلبه اليأس على أمره فيقول ، غاب دوائى يا عراف فبالله ساعدنى  
وأجبنى : هل يشفى مريض الحب ؟

وه يجد تقديما فى حالته ، فيقول متحيرا : افتقدت الطبيب المعالج  
والدواء الشافى .



ويرى انه قد تحل بعد فقد صبره فيطلب من المنجم أن يعيد النظر فى  
كتابه وأن يكرر سؤال النجوم عن أمره ، ويعقد معه صفقة مضمونها أن  
يخلصه المنجم من عذابه بجعل فاطمة تحبه وتشفيه من مرضه بوصولها له  
وقربها منه .

إذا حقق له المنجم ذلك أضحى خادما عنده ومملوكا له أى عاملا لديه  
بلا أجر .

رايها : يومدين بن محمد بن شهلا

سلك يومدين مسلك أبيه محمد فى نظم الحوزى والاكتار من الغزل  
وقد برع فى وصف الحبيب ومجالس الأناج والطرب وذكر الام الفراق  
والهجران .

فقد بصره فى أخريات عمره ، وتوفى أوائل القرن الثالث عشر الهجرى .  
وحوزيه الذى ختم به محمد بن محمد امرابط مجموعه عنوانه :

[ سيدي ومن يسال على كحل العين ]

وقد صدره بقوله :

سِيدِي وَمَنْ يَسْأَلُ اعْتَلَى لِحُلِّ الْعَيْنِ  
سِيدِي وَمَنْ يَسْأَلُ اعْتَلَى كَحَلِّ الْعَيْنِ  
سِيدِي وَمَنْ يَسْأَلُ اعْتَلَى رَمَقَاتِ الْغَزَالِ  
السَّأَلُ الْغَزَالَ الْاَجْدَالَ بَرِّ فَرْنِي  
سِيدِي وَمَنْ يَسْأَلُ اعْتَلَى طَالِقَةَ الدَّلَالِ  
اِخْيَرُ الْغَزَالَ وَانْفِي كَامِلَةَ الزَّيْنِ  
الَّتِي اَضْحَاتْ كَوْدَا دَرَقَتْ شَقَّ الْجَبَالِ  
بَيْنَ الْحَسُودِ لِيَهَا مَا صَبَتْ اَمْنِي  
لَا رَصَامَهَا اِخْلَاقِي طَارَ وَالْقَتَابِ مَا  
وَالرُّوحِ وَالْعَقْلِ طَارَ اَبْنَا جَنَّةِ  
خَلَاتْنِي اَهْبِيلُ تَسْأَلُ بَيْنَ الرَّجَالِ  
مَا كَانَ مَنْ اعْتَدَرْنِي يَا مَسْئَلِي

٣٨٩ - ٣٩٠

الكحل : سواد منابت شعر الأجدان خلقة ومنه المثل :  
« ليس التكحل في العينين كالكحل » .

رمقات الغزال : نظراته ، والغزال هنا هو المحبوب ، فالصورة بلاغية :  
استعارة تصريحية :

- الأجدل : المفتول الفري الرشيق .
- طالقة الدلال : ذات الدلال الأسر الأخاذ في كل قول لها أو فعل .
- اخير الغزال : خير الغزلان .
- كاملة الزين : كاملة الحسن .

اللى اضحات كودا : التي صار أمرها صعبا على وعقبة كإداء في  
طريق حبي لها .

ورقت شق الجبال : توارت واختبأت فى شقوق الجبال • كناية عن منعته •

ما صبت امنين : لم أجد منفذا يوصلنى اليها أو شخصا يدلنى عليها •

لا ارضامها أخلاقى طار : بسبب جمالها الساحر لم أجد قادرا على التماسك والالتزام بقواعد الأخلاق وآداب السلوك •

\*\*\*

ينادى بومدين من سألته عن حبيبه كحيل العين الذى يشبه الغزال الرشيق الأنيق ساكن الخلاء ذا القرنين •

قائلا : سيدى يامن تسأل عن حبيبى صاحب الدلال المفرط والجمال المطلق •

انه قد اضحى مستعصيا على بعد أن استعصم منى بسكناه فى شقوق الجبال ، وبعد ان قام حساده بحراسته حتى صار من الصعب على أن أجده أو أصل اليه •

رسمه الجميل ضيع أخلاقى أى جعلنى - وأنا الوقور - أفقد توازنى • لقد أحببته بكل قلبى ،

وبلا أجنحة حلقت روحى فى أفقه ، وكذلك عقلى •  
أه من حبه الذى هيمنى وجعلنى أهبل لا أتكسب بل أتسول •  
ماذا ؟ أليس فى المسلمين من يعذرنى !!؟

\*\*\*

بهذا ينتهى القسم الثالث والأخير من الكتاب وهو الحوزى •  
وإذا كانت لنا وقفة عنده أو بعده فلكى نقول :

انه من الأدب الشعبى المغربى فى الصميم ، وبحسبه أنه غطى كثيرا من الحاجات الفنية والذوقية لكثير من الناس ، وأعطى المتعة الموسيقية لمنشديه وسامعيه فلهذا ألف ووظف •

ولقد أدبى ما أريد له أن يؤديه فى قلوب وعقول وأرواح سكان تلمسان،  
لا فى زمن محدد بل فى أزمان متطاولة وممتدة الى الآن •

وكان الحوزي قد نال شهرة عظيمة في العهد العثماني ، واستحوذ على اهتمام المؤلفين والملحنين ، فوضعوا القواعد المحكمة لتأليفه وتلحينه بل وكتابته .

فضمير الغائب ( هـ ) تكتب وارعد [ قبلتو ] بدلا من [ قبلته ] والتاء المربوطة في آخر المؤنث تكتب ألف مد [ فاطما ] بدلا من [ فاطمة ] ليلائم المكتوب المنطوق .

ونجد ألفا غير مهموزة أمام كثير من كلماته فعلا كانت أو أسماء أو حروفا ، وهي ألف موسيقية تزداد لتسهيل الانشاد .

وهذا الخلق للأصوات وتطويل القصير منها يعطى فرصة طيبة للوترين الصوتيين ، فهي تسمح لهما بالالتذبذب العذب ، والانفتاح الرحب على العديد من الألحان .

\*\*\*

وما ذكرناه معناه أن الحوزي لم يكن - في كتابته - يخضع لقواعد الاملاء ، كذلك لم يكن يلتزم بالقواعد العربية من نحو وصرف وعروض . ثم ان الكلمة أو الجملة فيه قد يكون لها مفهوم خاص لا يدرجه الا من له خبره باللهجة المحلية المغربية .

\*\*\*

**أما بعد :**

فهذا عرض وتحليل لكتاب [ الجواهر الحسان في نظم اولياء تلمسان ] قمت به من موقع العمل في معهد الاداب والثقافة العربية بجامعة قسنطينة أستاذنا زائرا في ابريل سنة ١٩٧٨ .

خدمة للتراث الأدبي في المغرب العربي ، ووصولاً به وبمحواراد الى كل محب له ، وراغب في التعرف عليه والاستزادة ، نه .

\*\*\*

أجزل الشكر وأعشق التقدير للأستاذ الفاضل والعالم المحقق عبد الحميد حاجيات .

على اظهاره هذا الكتاب القيم بالمظهر اللائق .

تنفيذ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر المحمية سنة ١٣٩٤ هـ  
١٩٧٤ م .

وفى الحق انه أثرى به وبغيره مما حققه أو ألفه مكتبتنا العربية في  
المغرب والمشرق .

جزاه الله عن جهوده العلمية المخلصة خير الجزاء ، أمين .

د . عبده عبد العزيز قلقيله

قسنطينة في ٢٧/٤/١٩٧٨

### ٣ - عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المادة السابعة بيجاية

هذا الكتاب من كتب التراث التي نلفها الشيوخ المغاربة ، وأثروا بها  
- في حينها - دنيا العلم والأدب .

والى الآن لا زلنا نستمد منها ونأخذ عنها متأثرين بها ومتفاعلين  
معها ونحن نبنى كياننا الفكرى ، سواء بالقراءة والدرس ، أو بالكتابة  
والتأليف

وأجدنى مشدودا جدا الى التراث المغربى ، لست أدرى لماذا ؟  
هل هى المعيشة للمغاربة ومواخاتهم ؟  
أم أن المسألة نفسية بحثة ؟

ذلك أننا ربينا وعلمنا حتى حصلنا على أعلى الدرجات العلمية ، ومع  
ذلك لم يعترض طريقنا ! و لم يرد لنا أن يعترض طريقنا رافد مغربى ذو بال .  
فدرجنا ونحن نجهل الأفق المغربى وتراثه .

وترقب على ذلك اننا نشأنا بل كبرنا دون أن نتوقع من اخوتنا المغاربة  
شيئا أى شىء .

\*\*\*

حتى اذا أراد الله لنا الاتصال بهم . والانتقال اليهم ومشاركتهم فى  
اكتشاف ذراتهم ، ونفض غبار التاريخ عن أمجادهم ، أخذنا بما عندهم من  
علم وأدب ، ومن علماء وأدباء ، وكان احساسنا بذلك صدمة لنا وتأنيبا  
لضماثرنا على ما كان منا من قصور فى حق أنفسنا وتقصير فى حق اخوة  
لنا يحبوننا وينظرون الينا على أننا مطلع الاشرار لعروبتهم وأصحاب الفضل  
فى حمل أمانة اللغة : الاسلام اليهم .

ولم نكن ندري ان المغرب العربى حافل بكنوز من المعرفة تحفيهم وتكفيينا  
معهم لو اقتصرنا عليها .

فما الظن بنا لو أننا - مشاركة ومغاربة - تداولنا ما عندنا ، وتبادلنا



المنافع فيما بيننا ، فأكمل بعضنا بعضا ، وأعطى كل منا لأخيه ما لديه نظير أن يأخذ منه ما عنده ، وهما عطاء وأخذ لا يترتب عليهما فقد أو ما يشبهه الفقد ، بل على العكس يترتب عليهما الوجد والزيادة ؛ فمن المسلم به أن شيئا لا يزداد فيه بالأخذ منه الا العلم . والحمد لله الذى لا يحمد على مكروه سواه .

\*\*\*

والآن مع هذا السفر القيم :

[ عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء فى المائة السابعة ببجاية ] :

وهو مما ألفه قاضى قضاة بجاية وعين أعيانها ومقدمها فى محافلها وسفيرها فى مهامها ابن بجدتها أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني على اختلاف فى اسم أبيه : هل هو أحمد - كما هو الراجح - أو محمد .

\*\*\*

والكتاب من تحقيق العالم الأديب راجح بونار ، ومن مطبوعات الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر سنة ١٣٨٩ هـ - ١٩٧٠ م .

وسأوزع هذه الدراسة عنه على النقاط الآتية .

- ( ا ) بجاية .
- ( ب ) المؤلف .
- ( ج ) الكتاب .

أما الأخ المحقق فقد كنت اظن أنه سهل مهمتى ويسرها لى بما قدم به بين يدي التحقيق الثالث للكتاب .

أحل فقد حققه قبله المغفور له الأستاذ الدكتور محمد بن أبى شنب طيب الله ثراه .

وحققه قبله أو معه الأستاذ عادل نويهض .

لكن النسخة الأم لهذه الدراسة هى النسخة المحققة من قبل الأستاذ

الفاضل رابع بونار ؛ ومعنى أنها النسخة الأم أن النسخة التي حققها  
الأستاذ الفاضل عادل نويهض معى وتحت يدي . وهي مطبوعة في بيروت  
سنة ١٩٦٩ م .

\*\*\*

أعود فأقول : كنت أظن أن الأستاذ رابع بونار قد سهل مهمتي  
ويسرها لي .

لكن ها أنذا أقرر أنه قد جعل مهمتي صعبة ، بتقديمه القيم للكتاب  
وبتعريفه الوافى به .

ان ماذا أقول بعده ؟

ومع هذا فالحمد لله ، لقد استفرت بما كتب - وهو كثير - في الاحاطة  
بالكتاب ومعرفة دروبه ومسار به .

\*\*\*

ولسكن واضحاً أن ما أكتبه هنا ليس له من غرض سوى التعريف  
بالتراث المغربي ، دلالة عليه ، وتشويقاً اليه ، واغراء به .

وكل ما أرجوه أن يقرأه أولئك الغافلون الغافلون عما للمغرب العربي  
من التراث الأدبي .

\*\*\*

## بجاية

بجاية | كما يسميها العرب .

يقول ابن خلدون : ان موقع بجاية كان قرية تسكنها قبيلة بربرية تسمى بجاية أو [ نقاية ] فأطلق هذا الاسم على المدينة وسميت به على عادة الديبر في اطلاق اسم أول قبيلة تنزل بموقع ما على ذلك الموقع .  
و [ بوجي ] [ بالنطق الفرنسي أى الشمعة .

وربما كانت هذه التسمية آتية من شهرة بجاية بصنع الشمع والاتجار فيه .



و [ الناصرية ] كما جاء فى شعر جيد لحسن بن فكون القسنطينى قال :

دع العراق وبغداداً وشامهما      فالناصرية ما ان مثلها بلد  
ان تنظر البر فالأزهار بانعة      أو تنظر البحر فالأمواج تطرد  
يا طالباً وصفها ان كنت ذا نصف      قل:جنة الخلد فيها الأهل والولد

وقد صدق ابن فكون .

فبجاية مدينة جميلة تقع على شاطئ البحر الأبيض فيما كان يعرف قديماً بالمغرب الأوسط ، وهى تبعد عن قسنطينة بمقدار ٢٢٧ ك م . الى الشمال الغربى وعن الجزائر العاصمة بنحو ٢٨٥ ك م .

وموقعها الجغرافى على خط طول ٩٠° ٥ شرقى خط جرينتش . وخط عرض ٣٦° ٤٩ شماليه .



و [ الناصرية ] نسبة الى الناصر بن علناس رابع ملوك بنى حماد الصنهاجيين وقد شرع فى بنائها سنة ٤٦٠ هـ . ولما أتمها انتقل اليها . لكنه لم يقم فيها بصفة نهائية ، بل كان يتردد عليها وعلى القلعة .

وفى سنة ٤٨٦ هـ ١٠٩١ م انتقل المنصور ابنه اليها نهائيا .  
ومن ذلك الوقت صارت عاصمه الحماديين ، ومن أهم مدن المغرب .  
وما ظنك بمدينه بناها الناصر وأبدع فيها قصر اللؤلؤة !!؟

وشيد بها المنصور قصر أميمون ومسجدا كبيرا تزيينه منارة عالية  
وواجهه بها سبع عشرة باكية ، أما المياه فقد جلبها لها من الجبال المحيطة  
بها بواسطة القناطر المعلقة .

وما زال الحماديون ببجاية حتى صارت مكونة من سبعة عشر حيا  
تضم عشرين ألف بيت واثنين وسبعين مسجدا .

وقد أشاد المؤرخون ذى العصر الحمادى [ ٤٠٥ - ٦٤٦ هـ ] وفى  
العصرين الموحدى والحفى [ ٦٤٧ - ٩١٠ هـ ] بحضارتها وعظمتها .

جاء فى دائرة المعارف للبستاني أن | الناصرية | وهو الاسم الذى  
أطلقه الناصر على بجاية لما تم بناؤها قصدها الناس برا وبحرا .

وفى القرن السادس نجد الشريف الادريسي يصفها بأنها قاعدة بنى  
حماد بدل القلعة ، ومن كلامه عنها هذه النبذة قال :

بجاية فى وقتنا هذا ( ٥٤٨ هـ ) مدينة المغرب الأوسط ، وعين بلاد بنى  
حماد ، السفن اليها مقلعة وبها القوافل منحطة ، والأمتعة اليها برا وبحرا  
مجلوبة ، والبضائع نافقة ، وأهلها مياسير يجالسون تجار المغرب الأقصى  
وتجار الصحراء وتجار المشرق ، وبها تحل الشدود وتباع البضائع بالأمرال  
المقنطرة ، ولها بواد ومزارع ، والحنطة والشعير بها موجودان كثيرا ،  
والتين وسائر الفراكه بها منها ما يكفى لكثير من البلاد ، أما الصناعات  
فإن بها منها ما ليس بكثير من المدن .



وقد كانت بجاية - على عهد الغبريني والى ما بعده بأكثر من قرنين -  
بيئة علمية نشطة ، وكعبة يقصدها طلاب العلم والأدب ، بل يقصدها العلماء  
والأدباء من بلاد الأندلس غربا الى بلاد فارس شرقا .

وبحسبها علماءها الذين ترجم إ عنوان الدراية إ لهم وعددهم عشرة  
ومائة ويمكن القول لهذا بأنها كانت العاصمة العلمية للمغرب الكبير بعامة  
المغرب الأريسط وهو الجمهورية الجزائرية الحالية بخاصة .



هذا عن بجاية فديما .

أما بجاية حديثا ، فقد زرتها يوم ١٩٧٢/٤/٣٠ وشاهدت فيها قصر  
اللؤلؤة الذى بناه الناصر . وقد كان أحد عجائب الدنيا ، وهى تشبه مدينة  
بورسعيد المصرية فى مرقعها على البحر الابيض المتوسط وفى تحضرها ،  
والقلعة التى تحيط بها تشبه قلعة صلاح الدين فى تحصينها وعلوها ، فيها  
قصر العروسين الذى بناه الناصر ، ويطل على القلعة وبجاية معا أعلى منار  
فى العالم وهو المنار الذى بناه المنصور بن الناصر .

وفى هذا الخضم الحافل بالآثار التاريخية توجد عين سلام وهى عين  
بالوادي المعروف بوادي جراوه من نواحي القلعة .



## المؤلف :

هو أحمد بن أحمد بن عبد الله . كنيته أبن العباس . ولقبه الغبريني نسبة الى أسرته [ بنى غبرين ] وهى بطن من قبائل الأمازيغ . كانت تقطن بضواحي [ اعزازقه ] فى أعلى وادى [سباو] بالقرب من بجاية ، وقيل : بل فى بجاية نفسها .

ولد سنة ٦٤٤ هـ .

ومات مقتولا فى سجنه سنة ٧٠٤ هـ كما قرر الأستاذ رابح بونار وهو القول الراجح .

أو سنة ٧١٤ هـ بالطاعون فى بجاية ، ويؤكد هذا الأستاذ عادل نويهض .



حفظ القرآن الكريم . وعنى بقراءاته ورسمه فى صغره ، ولما شب عن الطوق درس التصوف والفقہ والأصول والتفسير والحديث والتاريخ والمنطق : علوم اللغة والأدب .

وبعد أن تقدم فى دراسته أخذ يحضر الحلقات العلمية التى كانت تعقد بالمساجد الكبيرة كالمسجد الأعظم ببجاية وكجامع الزيتونة بتونس . جاء فى برنامجة أنه درس علوم الدراية وعلوم الرواية :

والأولى تحتاج الى اعمال الفكر والنظر والاستنباط .

أما الثانية فلا تحتاج الا الى السماع والحفظ .

كما جاء فيه أن طرق التدريس ببجاية على عهده كانت تختلف من شيخ الى آخر فمنهم من كان يسلك الطريقة التقليدية وهى الطريقة الالقائىة . ومنهم من كان تعويله على الحوار والمناقشة ، والتعمق فى البحث والتعليل .

وقد أفاد الغبريني عن الطريقتين فى تكوينه الفكرى ، ولو أننا نراه فى كتابه الى الرواية أقرب منه الى الدراية ، ومن التسليم بما يسمع أو يقرأ أقرب منه الى فحصه ونقده لقبوله أو رده .

فقد كان يؤمن بالكرامات ويعنف على من يعمل فيها عمله .

ذكر في ترجمته لأبي عبد الله العربي ص ٨٠ أن هذا الشيخ المبارك الصالح كان يحج من بجاية في بعض العشر من ذي الحجة .

ولكى نصدفه في ذلك يذكر أن جفنا وصل من ناحية الشام الى بجاية وكان أبو عبد الله واقفا بحومة باب البحر فراه النصراني صاحب الجفن وقال له : يا سيدي . مزودت الذي دفعنه لي بالشام منذ ثمانية أيام وحلف على ذلك .

ثم يستطرد : ولما كان عام الأركش [ الأراك ] احتزم في يوم من الأيام وركب قصبية ومدك قصبية أخرى في يده عوضا عن مزراق ، وجعل يكر ويفر وهو يتفصد عرقا الى أن رمى بالقصبية من يده ضاربا في جهة عدوه وقائلا عند رميها « في سبيل الله » .

وسقط على الأرض من شدة جهده ، ومبلغ كده ، فأرخ ذلك الوقت من اليوم فكان هو اليريم الذي هزم الله فيه النصراني وهو يوم الأربعاء التاسع لشعبان الحرام عام ٥٩١ هـ .

يقول الغبريني « فكان رضى الله عنه في جملة المجاهدين ذلك اليوم وممن أعان الله به المسلمين وأوقع الهزيمة على يده » .

والمهم في هذا الخبر تعليق الغبريني عليه بما سبق ، ويقول به بعده :

« وقد يقع في هذا الإنكار من ملحد لا علم له ، وحقه الاعراض عنه وعدم الالتفات اليه ، وإن زاد فيصنع على وجهه عوضا عن قفاه » .

ص ٨١



الى هذا الحد كان الغبريني يصدق أمثال هذه الحكايات ، وكتابه حافل بالكثير منها ، يرويها على أنها حقائق مسلمة لا تخضع للمناقشة .

فقد كان سانجا اذن .

والعجب أنه لما ولى القضاء بدا « مهيبا ذا معرفة بأصول الفقه وحفظ

عروعه وقيام على النوازل وتحقيق للمسائل « كما يقول ابن الحسن النبهاني  
بحق في كتابه « قضاة الأندلس ص ١٣٢ » .

فقد كان الغبريني وهو قاض يتشدد في التزام الأحكام الشرعية وينكر  
على من يخالفها من أعياء التصوف ، ويرى أن نفيهم - لذلك - من البلد  
قليل ، وإنما الواجب أن يعاملوا بأسوأ التمثيل ويقول :

« هؤلاء جملة أغبياء : لا علم ولا عمل . ولا تصوف ولا فهم ، وهم  
مع ذلك يجهلون الناس ، ويعتقدون أن مبناهم على أساس » .

لكن لا عجب ؛ فهو التذبذب بين الرراية والدراية ، والتردد بين المنقول  
والمعقول ، وكل اناء بما فيه ينضج .





## الكتاب :

بعد أن تكلمنا عن بجايه وعن المؤلف - المسرح والبطل - نتكلم عن الكتاب نفسه ، وسنتناوله من هذه النواحي :

( ا ) غرضه وموضوعه .

( ب ) عرضه وتحليله .

بتصنيف المترجم لهم فيه حسبما غلب على كل صنف منهم من علم ، ونوع هذا العلم ، أو أدب ، ونوع ذلك الأدب ، أو تصوف ، وهل هو تصوف سنى أو فلسفى .

وأیضا تصديفهم بالنظر الى زمنهم ، ومن خلالهم سنتعرف على مشيخة الغبرینی التي كانت هی السبب المباشر فی تألیف هذا السفر القيم .

أجل . فقد عرف المغرب . وكذلك المشرق هذا النوع من التألیف تحت اسم الثبت أو البرنامج أو المشيخة .

يترجمون فيه لأساتذتهم بتحديد أعمارهم وتوضیح مسارهم فی حياتهم وفى دروسهم ، والعلوم التي تلقوها عنهم ، والكتب التي قرأوها عليهم ويذكرون انتاجهم الذي أنتجوه وما اشتهروا به بين ذويهم وغيرهم .



وإذا كان للأستاذ - بدوره - مشيخة ذكروها وعرفوا بها ، ولربما تعقبوه فى تلاميذه الذين أسهم بقدر كبير فى تكوينهم حتى صاروا امتدادا له ، وعنوانا عليه . وطلابا نابهين فى مدرسته . ونختتم هذه الدراسة بكلمة موجزة عن : -

٣ - أسلوب الكتاب ومنهج صاحبه فى تأليفه .

### غرض الكتاب وموضوعه

أفصح المؤلف عن غرض الكتاب وموضوعه بقوله في مقدمته : -

أما بعد : فإنه لما كان طلب العلم اللدنى ( الدينى ) فرضاً على الكفاية . ومنعينا فى الحال ، ولم يكن يد فى تحصيله من تلقية عن الرجال وكان التلقى اما مباشرة أو عن سند ذى اتصال ، وكان العلماء بذكر معرفته ، والسند عنه لا بد أن تعرف صفته : فلذلك أهتم العلماء بذكر الرجال ، واستعملوا فى تمييز أحوالهم الفكر والبال ، ليبيّنوا سبيل التحمل ، ويبيّنوا وسيلة التوصل ، وقد اختلفت فى ذلك مصادرهم ومرادهم . وإن اتفقت فى بعض الوجوه مقاصدهم :

- فمنهم من ذكر التجريح والتعديل فى المحدثين
- ومنهم من ذكر من يعرف بالحفظ والاتقان من المتقدمين
- ومنهم من اقتصر على ذكر العلماء المجتهدين
- ومنهم من ذكر المؤلفين والمصنفين
- ومنهم من ذكر الصلحاء والمتعبدين
- ومنهم من ذكر علماء وقته
- ومنهم من اقتصر على ذكر مشيخته
- وكل ذلك يحصل الافادة ، ويسهل للطالب مراده

رأيت أن أنكر فى هذا التقييد من عرف من العلماء ببجاية فى هذه المائة السابعة التى نحن فى بقية العشر الذى هو خاتمتها ، أنكر منهم من اشتهر بذكره ، ونبل قدره ، وظهرت جلالته وعرفت مرتبته فى العلم ومكانته «



الى هنا والغرض واضح والموضوع محدد

لكن المؤلف رحمه الله قد رجع الى الوراء قليلا ليصل نهاية القرن السادس ببداية القرن السابع ، ها هو ذا يقول : -

« وقد رأيت أن أصل بذكر علماء هذه المائة ذكر الشيخ أبى مدين

؛ الشيخ أبى على المسيلى ، والذقيه أبى محمد عبد الحق الاشبيلى رحمهم  
الله ورضى عنهم ، لقرب عهدهم بهذه المائة ، لأنهم كانوا فى أعقاب السادسة  
للتبرك بذكرهم ، ولانتشار فخرهم » .

ولم يقتصر الغيرينى على الثلاثة الذين ذكرهم بل أتبعهم بأربعة غيرهم  
سنعرض لهم .

وقد بدأ بهؤلاء السبعة وثنى بمشيخته على الوجه الآتى :-

## - ٢ -

عرض الكتاب وتحليله

علماء القرن السادس

بدأ الغيرينى فعرف بالولى الصالح ابى مدين شعيب بن الحسين  
الاندلسى المتوفى سنة ٥٩٤ هـ ووصفه بأنه الشيخ الفقيه المحقق الواصل  
القطب شيخ مشايخ الاسلام فى عصره ، ومثل لذكائه وحسن تصرفه ومدى  
الكشف عن بصيرته بحكاية فحواها أن لله مواهب لا تسعها المكاسب قال :-

أخبرنى بعض الأصحاب أن بعض الطلبة وقع بينهم نزاع فى بعض  
الأحاديث المروية عن النبى صلى الله عليه وسلم وهو قوله عليه السلام : -

« اذا مات المؤمن أعطى نصف الجنة » فتردد الكلام بينهم فى أن  
مؤمنين اذا ماتا استحقا الجنة وبقي الناس أجمع دون شيء ، فساروا الى  
مجلس أبى مدين ليطلعوا على ما عنده فى المسألة ، فلما استقروا بمجلسه  
ترك الشيخ كلامه الذى كان يتحدث فيه وهال : نزيل عن أصحابنا الاشكال ،  
ثم قال : -

أراد صلى الله عليه وسلم نصف جنته ، وبعد الحشر يعطى النصف  
الثانى من جنته . فبعد البعث تكمل له جنته .

وبعد ذكر بعض كراماته يحكى نهاية حياته على الوجه الذى ذكرناه  
فى الحلقة السابقة .

ويختتم ترجمته له بصفتين من مآثور كلامه كقوله :

- « ثمرة التصوف تسليم كلك »
- « مروءتك اعطاؤك عن تقصير غيرك »
- « من شغل مشغولا بربه ، أدركه المقت فى الوقت »

ص ٥٦ - ٦٥



ولا نجد فى ترجمة المسيلى أكثر مما وجدنا فى ترجمة أبى مدين •

وإذا كان الناس يلقبونه بأبى حامد الصغير ، تشبيها له بالغزالى .  
نان الغبرينى يجعل سبب ذلك كتابه [ التفكير فيما تشتمل عليه الآيات من  
المبادئ والغايات ] •

فهو كتاب جليل سلك فيه مسلك أبى حامد فى كتاب [ الأحياء ]  
ويستطرد مبالغا فيقول : -

« وكلامه فيه أحسن من كلام أبى حامد واسلم ، وشو كثير الوجود  
بأيدى الناس ، وكثرة وجود الكتاب دليل على اعناء الناس به  
راينارهم له » •

وما بعد ذلك حكايات أولياء يقولها معجبا بها ومصدا لها ، وهذا  
هو الغبرينى دائما ص ٦٦ - ٧٢ •



وثالث أهل القرن السادس هو الأشبيلى •

والغبرينى لا يكل ولا يمل من اضافة كل صفات الفضل الى من يترجم  
لهم • ها هو ذا يستهل كلامه عن الاشبيلى بقوله :

الامام الشيخ الفقيه الجليل المحدث الحافظ المتقن المجيد العابد الزاهد  
القاضى الخطيب •

اشنتا عشرة خصلة ، أى أنه يثنى بالجملة شكر الله له فضله ، فلأنه جميل  
يرى الوجود جميلا •

والاشبيلي ثرى بمؤلفاته التي تداولها العلماء رواية وقراءة وشرحا  
وتبيننا .

له الاحكام الكبرى فى الحديث ، والاحكام الصغرى فيه ، وله كتاب  
فى علم التذكير وله كتاب النهج ، وله اختصار الرشاطى ، يقول  
الغبرينى : -

وهو أحسن من الاصل ، وله الحاوى فى اللغة ، ثمانية عشر مجلدا  
ومع أنه كان متخليا عن الدنيا ، فقد كانت الوصيفة من داره تأتى الى  
مجلسه لقضاء بعض ماأرب منزله ، فاذا أئته تطلب منه ما يقضى بالمشء  
اليسير ، يخرج لها أضعاف ذلك ، وربما قال له بعض الحاضرين : -

هذا أكثر من المطلوب ، فيرد عليه بقوله : - لا أجمع على أهل المنزل  
ثلاث شينات : شيخ واشبيلي وشحيح . تكفى اثنتان . يقول الغبرينى  
وهذا من لونه وطيب طينته ص ٧٣ و ٧٥ .



وكما قلنا . لم يقف الغبرينى من علماء القرن السادس عند الثلاثة  
الذين ذكرهم ، فها هو ذا يتبعهم بترجمة مسهبة لأبى طاهر عمارة بن يحيى  
ابن عمارة الشريف الحسنى الذى كان متقدما فى علم العربية والأدب  
وتواشيحه لهذا فى غاية الحسن .

هكذا قال الغبرينى ، والشعر الذى أورده له يؤيد كلامه .



أما ابنة عمارة المسماة عائشة ، فقد كانت كأبيها أدبية أريية فصيحة  
لبيبة طارحت بشعرها ابن فكون القستنطينى .

يذكر الغبرينى أنه رأى يتيمة الدهر للذغالبي بخطها فى ثمانية عشر  
جزءا ، ويصفها بأنها « نسخة عتيقة ما رأيت أحسن منها ولا أصح ، ولقد  
رأيت منه نسخا كثيرة منتقدة الا هذه النسخة ، ولقد يجب أن تكون هذه  
النسخة أصلا لهذا الكتاب حيث كان » ص ٧٦ - ٨٠



وبعد عائشة وأبيها عمارة نجد ترجمتين لأبي عبد الله  
ص ٨٠ - ٨٢ .

يقول الغبريني : انه لا يعلم له وقت ولادة ولا وفاة وأرجح  
قبل سنة ٦٠٠ هـ وأبي الفضل بن محمد بن علي بن طاهر بن تميم  
الذي عاش ما بين سنتي ٥٤٠ و ٥٩٨ هـ . ص ٨٣ - ٨٥

وبعلماء وأدباء القرن السادس تنتهى المرحلة التمهيدية  
عنوان الدراية » .

ونجد أنفسنا أمام الأدباء وعلماء القرن السابع بيجاية  
عددهم ثلاثة ومائة ما بين عالم وأديب ومتصوف

أجل . ان العلم والادب والتصوف كانت القاسم المشتركة  
بينهم جميعا .

ومع هذا فلا بأس ، بل لا بد من تصنيفهم ناظرين في هذا  
الى اللون الغالب على أحدهم وهو اللون الذى يأتى فيه قبل غيره ،  
الاقل جنباً الى جنب مع غيره .

## مشيخة الغبريني

- ١ -

أبو محمد عبد الحق بن ربيع بن أحمد بن عمر الانصاري البجائي

أديب فقيه أصولي منطقي متصوف ولد ببجاية وقرأ بها .

كان ابن مقلة زمانه في حسن الخط وتنوعه ، وكانت فيه دعاية مستحسنة مستظرفة على طريقة أمثاله من فضلاء أهل العلم والتخلق ، وكان اذا أثنى عليه بحسن الخلق يقول : - قال النبي صلى الله عليه وسلم : -

« أول ما يوضع في الميزان الخلق الحسن » .

ومن لم يكن عنده أول ما يوضع في الميزان لم يكن عند غيره ؛ لأن هذا انما يجرى مجرى الأساس ، والله ما بت قط وفي نفسى شر لمسلم .

يقول الغبريني : - كان القاضي على القضاة بالحقيقة ، لأن مرجع أمرهم انما كان اليه ، وسمعت كثيرا من أهل العلم يثنون عليه ويقولون : انه لم يكن في وقته بمغربنا الأوسط مثله . ت سنة ٦٧٥ هـ ص ٨٥ - ٩٠ .

- ٢ -

أبو محمد عبد العزيز بن عمر بن مخلوف

٦٠٢ - ٦٨٦ هـ

فقيه محدث أديب ، قرأ ببجاية ولقى بها جملة من الفضلاء .

أسند اليه قضاء الانكحة ببجاية ، وولى القضاء مستقلا بعد ذلك ببسكرة وقسنطينة والجزائر . كان له درس بالغداة ودرس بين الصلاتين ودرس بعد العشاءين ، دأب على هذا مدة طويلة من عمره واقتصر بعده على تدريس درسين : أحدهما في مسجده بالغداة والآخر بالجامع الاعظم بين

الصلواتين ، وكان مبارك التعليم حسن النقيبة فى التفهيم ، درس عليه العلم خلق كثير وانتفعوا به .

يقول الغبريني : - قرأت عليه رحمه الله وحضرت دروسه وسمعت منه كثيرا ، قرأت عليه الجلاب ، وقرأت بعده الموطأ بالجامع الأعظم .  
ص ٩١ - ٩٢

- ٣ -

أبو محمد عبد الله بن محمد بن عمر بن عبادة القلعي  
ت ٦٦٩ هـ

فقيه حاضط مؤرخ من قلعة بنى حماد ، نعلم فى بجايه ، يقول  
العبريني : -

قرأت عليه رحمه الله وسمعت منه وأخذت عنه ، وهو اول من بدأت  
قراءة الفقه عليه ، وكان يبدأ فى مجلسه بالرقائق . وبعد ذلك بعراة الفقه  
والحديث والرواية .

كانت له ببجايه وجاهة وإباهة ، وكانت جموع امراء فى الامور  
المجتمع لها لا تنعقد الا بوجوده ، وكان لسان الناس فيها ص ٨١ .

- ٤ -

أبو عبد الله محمد بن الحسن بن على بن ميمون التميمي القلعي  
ت ٦٧٣ هـ

أديب لغوى نحوى مؤرخ محدث مفسر فقيه ابن جنى المغرب وشهرته  
الأديب .

أورد له المصنف جزئين كبيرين من قصيدتين جيدتين وشبهه فى الشعر  
بأبى تمام . قال : -

هو اكثر الناس شعرا ، وقد شرع فى تدوين شعره عام ٦٣٠ هـ ، وهو  
فى كل عام يقول منه ما يكتب فى ديوان ، وعاش بعد شروعه فى تدوين



شعره ثلاثا وأربعين سنة ، ولو تم له تدوينه لكان فى مجلدات كثيرة ولكن بأيدى الناس منه كثير ، وتواشيحه حسنة جدا .

وعن علمه وكتبه وخلقه يقول الغبريني : -

لزمت عليه القراءة ما ينيف على عشرة أعوام، وقد أستمتعت به كثيرا واستفدت منه كثيرا ، قرأت عليه الايضاح من فاتحته الى خاتمته وقرأت عليه النصف من كتاب سيبريه ذ وقرأت عليه قانون أبى موسى الجزولى ، وقرأت عليه جملة من الامالى ومن زهر الآداب ومن المقامات ، وقصائد متخيرات من شعر حبيب ومن شعر المتنبى ، وحضرت قراءة الفصل .

له كتاب سماه [ الموضح فى علم النحو ] وله [ حديق العيون فى تنقيح القانون ] وله [ نشر الخفى فى مشكلات أبى على ]

كان فيه فضل وسخاء ، وكانت يده ويد الطلبة فى كتبه لهذا سواء لكأنه كان يتمثل بقول الأول : -

كتبى لأهل العلم مبنولة

يدى مثل أيديهم فيها

أعارنا أشيائنا كتبهم

وسنة الأشياخ نمضيتها

ص ٩٤ - ٩٩

### أبو العباس أحمد بن خالد الملقى

فقيه متصوف متروك ، وبالرغم من عكوفه عشرين سنة على قراءة أرسطو وتدريسه لطلبته علم المنطق والاشارات والتنبيهات لابن سينا من أولها الى آخرها ومشاركته فى الطب والحكمة والطبيعات والالهيات .

الا انه كان متحملا لأصول الفقه وأصول الدين على طريقة الائمة المتقدمين أى على طريقة أهل السنة ، وكان لا يرى بطريقتهم فخر الدين

الرازي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ لا لشيء الا لأنها كانت قائمة على الأبحاث  
الفلسفية ومعتمدة على اعمال النظر .

قرأ عليه الغبريني جملة من الارشاد ، وجملة من المستقصى ، وبعض  
معيار العلم فى المنطق . توفى ببجاية فى عشر الستين وستمائة .  
ص ١٠٠

- ٦ -

أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد الأموى

فقيه حكيم طبيب معالج متخصص فى أمراض النساء والولادة .  
ورد على بجاية من مرسية فى عشر الستين وستمائة مستوطنا .

قرأ عليه الغبريني قانون أبى موسى الجزولى وأرجوزة ابن سينا  
قراءة اتقان ، وقد انتقل الى تونس بسبب استدعاء المستنصر الحفصى له ،  
ونظمه اياه فى سلك أطبائه ، وكانت وفاته بها سنة ٦٧٤ هـ .  
ص ١٠١ - ١٠٢

- ٧ -

أبو الحجاج يوسف بن سعيد بن يخلف الجزائرى

أديب نحوى لغوى فقيه منطقى . حضر الغبريني دروسه التى كان  
يقرأ فيها الايضاح والجمال والمفصل وقانون أبى موسى الجزولى ومقدمة  
ابن باب شاذ واصلاح المنطق ، وأشعار الجاهليين وحبیب والمتنبى والمعرى  
وديوان الحماسة والمقامات والامالى وغير ذلك من الكتب الادبية واللغوية  
والنحوية ص ١٠٣ .

- ٨ -

أبو عبد الله محمد بن صالح بن أحمد الكنائى الشاطبى

أديب نحوى عالم بالقراءات لغوى محدث مقصوف له شعر جيد  
استجاز وأجاز .

وهو أندلسى الأصل استوطن بجاية وكان حيا بها سنة ٦٩٩ هـ وربما كانت هذه الترجمة أول ترجمة لحى فى عنوان الدراية

يقول الغبريني عنه وهو شاهد رؤية : يقرأ كتب العربية فيجيد وأجود ذلك مفصل الزمخشري قرأه وأحكمه ، وهو كذلك يقرئه ويجيد فيه ، وتقرأ عليه دواوين الأشعار كشعر حبيب والمتنبى والمعري وأشعار الجاملين وغير ذلك وكل ذلك على إتقان واحكام وجودة ايراد .

- ٩ -

أبو العباس أحمد بن محمد بن حسن بن محمد بن خضر الصديقى الشاطبى  
ت ٦٧٤ هـ

فقيه عالم بالقراءات راوية خبير فى قواعد الاملاء والخط وله فى ذلك تاليف جيد لقى الكثير من المشايخ ببجاية ، وروى عنه الغبريني بعض كتب الحديث واستفاد منه فى علم القراءات وفى طريق الضبط .  
ص ١٠٨ - ١١١

- ١٠ -

أبو العباس أحمد بن عيسى بن عبد الرحمن الغمارى  
ت ٦٨٢ هـ

عالم ذكى فقيه من أهل النظر على طريقة فخر الدين الرازى ، ولاعجب فقد كان مغرما به يثنى عليه كثيرا ولا يرى له نظيرا .

حضر الغبريني دروسه التى كانت تتناول الرقائق والفقه وأصوله تولى قضاء العلمية مرة وبجاية مرتين .

ولما نزل أمير المؤمنين المستنصر على قسنطينة وجه عنه واعتنى به وسأله عن بجاية وأهلها .

قالوا : فأجاب بما يليق به الجواب ، ولعل ذلك هو السبب فى انتقاله الى تونس وبقائه فيها الى أن مات بها سنة ٦٨٢ هـ :

ص ١١٢ - ١١٣

- ١١ -

أبو القاسم بن أبي بكر اليمنى بن زيتون  
ت ٦٩١ هـ

متكلم منطقي فقيه ، وفقهه جار على قوانين النظر والاجتهاد .  
ولد ومات بتونس ، لكنه كان يتردد على بجاية وقد لقيه الغبريني في  
الوطنين .

ص ١١٤ - ١١٥

- ١٢ -

أبو القاسم أحمد بن عثمان بن عجلان القيسي

فقيه متصوف سني محدث ولى له اهتمام بالقراءات وعلم العربية  
وطريق الصالحين . استوطن بجاية مدة من الزمان وأقرأ بها وانتفع به الناس  
علما وعملا ، وكان اذا جلس للاقراء يحضر بين يديه الكتب المقرؤة عليه .  
فاذا فتح الطالب الكتاب ، أخذ هو الكتاب في يده ويقرأ الطالب وتقع  
المعارضة ، وحينئذ يقع الشرح منه لما يقرأه القارئ ، وهذا من تثبته وتحوطه  
رضى الله عنه .

توفى بتونس في عشر السبعين وستمئة أيام الراثق [٦٧٥-٦٧٨هـ] .  
ص ١١٦ - ١١٨

- ١٣ -

أبو زكرياء يحيى بن زكرياء بن محجوبة القرشي السطيفي  
ت ٦٧٧ هـ

عالم فقيه متصوف ولى ذو كرامات ، كان مستجاب الدعوة ، بلغ من  
فضله وزهده أن عرض عليه الأمير أبو يحيى أن يجعل له مرتبا من أعشار  
الديوان في كل شهر فامتنع عن ذلك وقال : ان اسمى في ديوان الوجود  
المطلق فلا أجعله في الديوان المقيد لأن الاطلاق أوسع من التقييد ، وهو في  
ديوان الحق فلا أجعله في ديوان الخلق .  
له تأليف حسن في شرح أسماء الله الحسنى ، وله في التصوف تقايد

كثيرة ، وله نظم حسن ، وقطع مستحسنة ، كلها فى المعانى الصوفية .

قال الغبريني : كنت فى زمان الشباب نظمت القصيدة الصوفية التى  
مطلعها :

واحيرة العشاق بالمرقباء      حرموا الوصول لطيبة الوسعاء

وهى فى نحر أربعين بيتا فحملتها اليه وأنشدتها بين يديه ففرح بها  
غاية الفرح وجعل يدعو ويقول : بصرک الله لمعانيها وأطلعك على ما فيها ،  
لأن الحال كان حال شبيهة فاعتقد الشيخ رحمه الله أن ما أتيت به فيها إنما  
هو على سبيل الصناعة لا على سبيل الاطلاع والشهود والله يؤتى الفضل من  
يشاء .

توفى رحمه الله بجاية فى غرة ذى القعدة عام سبعة وسبعين وستمائة .  
ص ١١٩ - ١٢٠

- ١٤ -

أبو الحسن عبيد الله بن أحمد بن عبد المجيد بن عمر بن يحيى الأزدي  
٦٠١ - ٦٩١ هـ

عالم فقيه ولى ، لكنه كان لا يتسامح فى شىء مما يخالف ظاهر الشريعة  
ولا يقر شطحات المتصوفة .

من أهل رندة واستوطن بجاية الى أن توفى بها .

ص ١٢١

- ١٥ -

أبو محمد عبد المجيد بن أبى البركات بن أبى الدنيا الصدقى الطربلسي

خرج الغبريني على شرط كتابه وترجم له على الرغم من أنه لم يرب  
بجاية ولم تره . وإنما ذكره لأنه من مشيخته ، فقد لقيه بتونس وتبرك به .

وهو عالم فى الأصول على طريقة الأقدمين ، وفى الفقه على طريقته .

القرويين وهى طريقة تعتمد على الحفظ والقل دون اعمال النظر والاجتهاد.  
مع هذا فقد كانت له عقيدة فى علم الكلام ، توفى عشر الثمانين وستمائة .  
ص ١٢٢

أبو محمد عبد المنعم بن محمد بن يوسف بن عتيق الغساني الجزائري  
أديب منشىء له شعر رائق وكتب أدبى فائق ، وهو الى ذلك عالم فقيه  
شغل منصب قاضى بجاية ، وهو أصلا من مدينة الجزائر توفى بعد سنة  
٦٧٠ هـ بتونس .  
يقول الغبريني : صحبناه واستفدنا منه واهتدينا بهديه وتعرفنا بركة  
رأيه رحمه الله وغفر له .  
من شعره فى وصف مشاهد القيامة والشفاعة :

ص ١٢٥

لكل نبي دعوة مستجابة  
وسيدهم طرا خباها لأمته  
الى يوم لا يغنى عن المرء منطق  
فصيح ولا يدلى البليغ بحجته  
ويوم يفر المرء من ولد له  
حبيب ولا يجزى أب بأبوته  
ترى الناس فيه بين باك وصارخ  
وذاكر ما قد فات من فرط زلته  
فكل به حيران يندب شجوه  
وسكران لا من خمرة بل بغمرته  
وكل نبي يسأل الله نفسه  
ويضرب صفحا عن سؤال لأمته  
خلا شافع فينا كريم مشفع  
به يشمل الله العباد برحمته

أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الخزرجي الشاطبي  
ت ٦٩١ هـ

فقيه أصولي لغوي طبيب متبحر ، تخطت بخطة القضاء في غير ما بلد  
ثم قضى ببجاية ، وبعدها ولى قضاء حاضرة افريقية ، ووجهه ملك افريقية  
رسولا الى صاحب الديار المصرية فحمد مسعاه وشكر منحاه توفى بتونس  
سنة ٦٩١ هـ .

ص ١٢٦ - ١٢٨

أبو العباس أحمد بن محمد بن الحسن بن الغماز الانصاري البلنسي  
٦١٩ - ٦٩٣

عالم أديب له شعر في الزهد والتصوف ، من أهل بلنسية .

استوطن بجاية وولى قضاءها واقامة الفريضة بجامعها الأعظم ثم  
استدعى لحاضرة افريقية وقدم للقضاء بها أكثر من مرة .

يقول الغبريني : رأته ببجاية ولقيته بها ، ورأيته أيضا بتونس رؤية  
جيدة ، واستفدت من أخلاقه ، ومن الاطلاع على أحكامه بحضورى مجلسه .

ومن عجائب الصدف أنه ولد بجيان يوم عاشوراء سنة ٦٠٩ هـ وهى  
عام العقاب ، وتوفى بتونس يوم عاشوراء عام ٦٩٣ هـ .  
من شعره :

أما أن للنفس أن تخشعا

أما أن للقلب أن يقلعا

أليس الثمانون قد أقبلت

فلم تبق فى لذة مطمعا

تقضى الزمان ولا مطمع

لما قد مضى منه أن يرجعا

ص ١٢٩ - ١٣١

أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم السجلماسي

متصوف عابد زاهد ولى ، لفى مشيخة فاضلة بالمغرب والمشرق كان قويا فى علم التوحيد . وكان يرى أن التوحىل الى الحقائق ، والترقى الى أعلى المراقى لا يكون الا بالتوحيد . وتلمذة الغبرينى عليه تلمذة فى التصوف . توفى بقلعة بنى حماد .

ص ١٢٢ - ١٢٣

أبو الحسن على بن محمد الزواوى اليتورغى

زاهد ولى ذو كرامات لقيه الغبرينى وهو على أبل السن ببلدة بنى يتورغ بموضع سكناء منها .

ويقول فى نهاية ترجمته له « فهذه المشيخة التى لقيتها وتخيرتها لى لى واثقتها نفع الله بها . وهذا أو ان ذكر من بقى من العلماء الذين اشتدطت فى الكتاب نكرهم رحمهم الله ورضى عنهم أجمعين » .

ص ١٢٣ - ١٢٤

وقبل أن ننصرف عن مشيخة الغبرينى ننبه الى أن الطابع الغالب عليهم هو العلم أولا والتصوف أو الولاية ثانية .

كما الأدب فىأتى بعد .

دليلنا على ذلك أنهم عشرون منهم خمسة فقط يغلب عليهم الأدب وهم الأنصارى والتميمى وابن سعيد والشاطبى والغسانى . وبالعد الحسابى ١ ، ٤ ، ٧ ، ٨ ، ١٦ .

وقد ترك ذلك أثره على الغبرينى ، فهو - كمشيخته - عالم سلفى يؤمر بالكرامات ولو كانت خرافات .



• هذا أولا

• أما ثانيا فهو اديب يارع في الكتابة

ومن شعره قوله :

لا تنكحن سرك المكنون خاطبه

واجعل لميته بين الحشا جدثا

ولا تقل : نفثة المصدور راحته

كم نافث روجه من صدره نفثا

## علماء وأدباء بجاية من غير مشيخة الغبريني

- ١ -

أبو زكرياء يحيى بن أبي علي المشتهر بالزواوي  
ت ٦١١ هـ

عالم فقيه محدث مفسر صالح عابد ولى من أهل طريقي الحق ، استوطن  
جاية بعد عودته من المشرق ومات بها في ١٤ من رمضان سنة ٦١١ هـ

وابتداء من هذه الترجمة نجد الغبريني صاحب رأى ورأى واضح متسع  
في أمور التصوف والتذكير والزهد ، لست أدري لماذا ؟

لعله النضج والانفصالات من قيود الأدب أو التأدب اللازم في حضرة  
المشيخة .

يقول عن صاحبه الزواوي ما نصه : « وكان الغالب عليه رضى الله عنه  
الخوف . ما يمر بمجلسه الا ذكر النار والاعلال والسعير ، وتكاد تفيض  
قلوب الناس في مجلسه . هذا هو حاله دائما ، وهذه الطريق هي أحسن  
الطرق في الدعاء الى الله تعالى : ان جبل الله الخلق على أنهم لا يفعلون  
غالبا الا بالخوف ، ولأجل هذا كان أكثر الشريعة تخويفا » .

لكنه أى الغبريني أو الزواوي أو هما معا قد وقعا في التناقض  
الصارخ .

واقراً معى هذا الكلام الذى جاء فى أعقاب الكلام السابق بلا فاصل  
أى فاصل قال :

« وما زال رضى الله عنه مستمرا على هذه الحال الى يوم وفاته يبسط  
أمل الناس ورجاءهم فى رحمة الله وفى سعة مغفرته ، ومناهم بما عنده من  
كثرة الثواب ، وأنه لا يضيع أجر من أحسن عملا الى غير ذلك مما اشتمل  
عليه مجلسه .

وهذا طريق حسن ! لأنه لم يبق عند لقاء الله الا الطمع فى رحمتيه

والرغبة فيما عنده . لأن الخوف فائدته إنما هي الحض على العمل . وحين الموت انقطع العمل ، ولم يبق الا قوة الأمل لتلقى الله طيبة نفسه فيحب لقاء الله فيحب الله لقاءه حسبما اقتضاه الحديث .

\*\*\*

ويظهر أن الشيخين الزواوى والغبريني كانا يريان قبض النفس الانسانية بزجرها بالوعيد . ثم بسطها واغراها بالوعود .  
والله أعلم .

ص ١٣٥ - ١٣٩

- ٢ -

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد المعافري القلعي

عالم فقيه نحوي مقرئ خطيب راوية من أهل بجاية .

كان اذا أحيا ليلة القدر يرغب الناس في القيام خلفه لصدق قراءته . بما فيهم والى بجاية عبد الله بن يؤمن ، وكان يصلى وراءه قائما لا يركن الى الجلوس ، فاذا قرأ غيره ممن يعينه جلس . وهذا تقدير كبير للمترجم له .  
ص ١٤٠

- ٣ -

أبو محمد عطية الله بن منصور الزواوى اليراقنى

عالم فقيه عابد حافظ .

ولا يزال الغبريني على تسليمه بكرامات الاولياء دون مناقشة .

ص ١٤١

- ٤ -

على بن أبى نصر فتح بن عبد الله

٦٠٦ - ٦٥٢

عالم فقيه محدث عابد ورع . من أهل بجاية رحل الى الأندلس والى الشرق ثم استقر ببجاية .

ص ١٤٢ - ١٤٤

### أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسن بن إبراهيم الحرالي التجيبي

شرق هذا الشيخ وغرب وعاش في بجاية مدة ، كان معظما لأهل البيت  
معتزفا بالاسترقاق لهم ، كما كان زاهدا زهدا حقيقيا بالظاهر والباطن .

أما علمه فحدث عنه ولا حرج ، ولندع الغبريني يتكلم قال :

وممن لقي بالمشرق الامام أبو عبد الله محمد القرطبي امام الحرم الشريف  
قال رحمه الله : « تعلمنا عليه الفاتحة في نحو من ستة أشهر ، وكان يلقي  
في التفسير قوانين تنزل في علم التفسير منزلة أصول الفقه من الأحكام ،  
الى أن من الله ببركات رمواهب لا تحصى مما لا عين رآته ولا أذن سمعته ،  
ولا خطر على قلب بشر » .

ويسترد الغبريني الكلام من الامام ليقول :

جمع رحمه الله فنون العلم بجملتها واستولى على كليتها :

أما علم الأصول ، فأصول الدين وأصول الفقه هو أعلم الناس بها وقد  
صنف فيها .

وأما معقولات الحكماء ، فهو أعلم الناس بالمنطق ، وله فيه تصنيف  
سماه [ المعقولات الأول ] .

وأما علم الطبيعيات والالهييات فكان أعلم الناس بها .  
أخبرني شيخنا أبو محمد بن عبد الحق رحمه الله تعالى : قال لي :

كنا نقرأ عليه [ النجاة ] لابن سينا ، فكان ينقض عراه نقضا وذلك  
بعد أن يوضح منه ما يليق ويقرره بأحسن طريق ثم ينقضه ويوهنه .

وأما علم التعاليم فكان أعلم الناس بها ، وأما علم الفقه فكان أعلم  
الناس به منقوله ومعقوله .

وأما علم التفسير ، فكان يورد الآي ويناسقها نسقا بديعا ويتكلم فيها

بما لم يسبق اليه ، وله تفسير على كتاب الله تعالى سلك فيه سبيل التحرير  
وتكلم عليه لفظة لفظة وحرفا حرفا .

- وعلم الحديث كان له فيه تقدم وعلو سند .
- وعلم العربية لغة ونحوا وأدبا كان متقدما فيه .

له التأليف الحسنة ، وله الشعر الفائق الرائق غزلا وتصوفا ، وله في  
علم الفرائض ما لم يسبق اليه .

وأما علم التصوف فهو فيه الامام .

وبالجملة فحيث تكلم في علم يعتقد الناظر فيه أنه لا يعرف غيره .

وما من علم الا وله فيه تصنيف وتأليف وهو من أحسن التصانيف  
وأجل التأليف .

ولعمري ان كتابه في علم الفرائض المسمى ( الوافي ) ما رأيت مثله  
في ذلك الفن ، وكذلك كل ما طالعت من كلامه في أصول الفقه وصور الدين  
وعلم المنطق وعلم العربية وعلم التصوف وغير ذلك من سائر ما تحدث فيه  
رضى الله عنه .

\*\*\*

والغبريني - كما نرى - مفتون بصاحبه ، فلا عجب أن كمال له بالكيل  
الوافي ، وذهب فيه الى ما لا يعقل قال :

ولقد زهد رضى الله عنه حتى في الكتب ؛ فانه لم يكن عنده منها شيء ،  
وكان لا يفتقر في مراعيدده الى مطالعة شيء ؛ لاحاطته وتحصيله ، وجميع  
ما صنفه من الكتب ما كان يراجع فيه كتابا ولا يطالع فيه سوى مجرد فكره  
وتسديد رأيه .

توفى رحمه الله بحماه من بلاد الشام سنة ٦٣٧ هـ .

- ٦ -

بو عبد الله محمد بن علي الطائي الحاتمي محيي الدين بن عربي المرسي

عالم فقيه متصرف لكن تصوفه من النوع الفلسفي . أصله من مرسية  
دخل بجاية سنة ٥٩٧ . وأقام بها مدة .

له من التأليف ما هو أكثر من الكثير ، وكلها في علم التصوف ، يقول  
الغبريني : وفيها ما فيها .  
أن قيض الله من يسامح ويتأول الخير سهل المرام .  
وإن كان ممن ينظر بحسب الظاهر ولا يتسامح في نظر ناظر . فالأمر  
صعب ، والملقى وعر .

ولقد صدقت نبوءة الغبريني ، فقد نقد عليه أهل مصر ما صدر عنه  
وحبسوه تمهيدا لقتله ، كما قتل الحلاج وأشباهه .

لكن الشيخ أبا الحسين علي بن أبي نصر فتح بن عبد الله البجائي  
ما زال ساعيا في أمره . ومظهرا من وجوه التساويل في شأنه ما اقتضى  
الاعراض عن زلته والمسامحة في هفوته .

ولما غدا ابن عربي حرا ذهب الى البجائي وقال له :  
كيف يحبس من حل منه اللاهوت في الناسوت !!؟

فأجابه البجائي : يا سيدي تلك شطحات في محل سكر ولا عتب على  
سكران .

توفى رحمه الله في نحو الأربعين وستمائة .

ص ١٥٨ - ١٦٠

- ٧ -

أبو الفضل قاسم بن محمد القرشي القرطبي

ت ٦٦٢ هـ

عالم فقيه صالح زاهد مستجاب الدعوة ذو كرامات كثيرة خرج من  
قرطبة الى بجاية وسنه عشر سنوات .

ص ١٦١ - ١٦٤

- ٩٥ -

- ٨ -

### أبو زكرياء المرجاني الموصلی

نسبة الى الموصل بالعراق ، ولكنه عاش في بجاية فترة . صالح ورع  
كاشف فقيه .

ص ١٦٥

- ٩ -

### تقى الدين الموصلی

ولى أمى لا يقرأ ولا يكتب ، رحالة لم يبق عليه من الأقاليم اقليم  
الا سلكه وكان يحدث عن غرائب وعجائب . وصل الى بجاية في مدة الشيخ  
ابى الحسن الحرالى وكان يقول عنه : انه من أساطين الحكمة وأنه كقس  
ابن ساعدة وزيد بن عمر بن نفيل هداه الله الى الحق بموجدة نفسه من غير  
اكتساب ، وتوصل الى ما يتوصل اليه أهل البراهين من خالص الصواب .  
نسبته الى الموصل كسابقه ولم يظل ببجاية بل تركها الى المغرب  
الانفسى .

ص ١٦٦ - ١٦٧

- ١٠ -

### أبو العباس الجدلى الشريف

أصله من أصبهان ، ورد ببجاية وأقام بها مدة ثم انصرف الى المغرب  
وهو فقيه محدث جدلى .

ص ١٦٨

- ١١ -

### أبو النجم هلال بن يونس الغبريتى

فقيه عابد ولى بجائى :

ص ١٦٩

- ١٢ -

أبو عبد الله محمد بن علي القصري

من أهل بجاية ، كان عالما بالفقه وأصول الفقه وأصول الدين ، بارعا في علم العربية ، متقدما في علم التصوف ، سيدا في طريق الانقطاع والعبادة . متواضعا موصوفا بالتقوى على ما عليه السلف الصالح رضي الله عنهم .

ص ١٧٠

- ١٣ -

أبو العباس أحمد بن عثمان بن عبد المتوسى الملياني  
ت ٦٤٤ هـ

سكن بجاية وأقرأ بها وأسمع . له علم بالعربية والفقه وأصول الدين وحظ من التصوف والعبادة .

ص ١٧١ - ١٧٢

- ١٤ -

أبو عبد الله بن شعيب

عالم فقيه أصولي ولى متصرف تصوفا سنيا ، دخل بجاية في مدة اجتيازه الى المشرق .

ونجد الغبريني وهو يترجم له يقص قصته مع البجائي الذي أضافه . وفحواها : أنه لم يؤد الا الصلوات المفروضة وسننها المؤكدة ، ولما استقل ذلك منه ألهم الله شعيبا شعور المضيف نحوه ، فأقام عنده ثلاثين يوما لا يتكل ولا يشرب ، كرامة طبعاً ، ولما هم بالانصراف قال لمضيفه :

ما أقمت عندك هذه المدة الا لئلا تزدرى بأولياء الله اذا رأيتهم يؤدون الفرائض ويقتصرون عليها ، وأي فضل أعظم من أداء الفرائض اذا فعلها الفاعل على حقيقتها وارتكب جميل طريقتها !!؟

وهنا ينبرى الغبريني مدافعا عن شعيب ومبدياً رأيه في سلوكه بقوله:



وهذا الرجل [ شعيب ] انما كان من أهل العرفان ، وانما كانت عبادته  
فى فكرته ولكن العامة ما يرون الفضل الا لمن يكثر الركوع والسجود والصيام ،  
وان كان جاهلا ، وذلك لعدم تمييزهم وقلة علمهم .  
ثم يقص قصة مماثلة ويعلق عليها تعليقا مماثلا فيقول :

- ان العامة لا يدركون الا الأحوال الظاهرة ولا علم لهم بالأسرار .
- « يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون »
- أعاد الله علينا بركات أولياء الله بفضله .

\*\*\*

ومن هذين التعليقين للغبرينى نفهم أنه كان يرى أن للأولياء عمقهم  
الخاص بهم . وعالمهم المغلق عليهم ، ولا حق لنا فى محاسبتهم بما نحاسب  
به أنفسنا ولا فى قياسهم علينا .

أما أنا فأرى أن الانحياز بهم الى عالم الأسرار التى لا يصح لنا ولوجها  
انحياز خاطيء وفى غير محله ؛ فالكل فى شرع الاله سواء والله أعلم .  
ص ١٧٣ - ١٧٦

أبو الحسين عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن فتوح النغرى  
ت ٦٤٢ هـ

أديب عالم بالنحو واللغة والفقه والمنطق له شعر بارع وأدب غض  
يانع ومما ألهه : تقييد على كتاب الفصل ، واختصار [ حلية الأولياء ]  
لأبى نعيم .  
أصله من شاطبة ثم جاء الى بجاية ، وقبره بحومة رابطة المتنى  
خارجها .

ص ١٧٦ - ١٧٧

أبو عبد الله الشريف

- عالم عامل فقيه متكلم متعبد زاهد بجائى .

ص ١٧٧ - ١٧٨

- ٩٨ -

- ١٧ -

### أبو الحسن على الشهير بابن الزييات

- عالم فقيه متعبد أندلسي استوطن بجاية ثم استوطن ترنس وبها توفي . كانت تقرّ عليه الكتب المذهبية مثل :
- التهذيب : للبراذعي المتوفى في أوائل القرن الخامس الهجري .
- التلقين : للقاضي عبد الوهاب المالكي .
- الجلاب : لأبي القاسم عبيد الله بن الجلاب والاسم الحقيقي للكتاب التفريع .
- الرسالة : لأبي زيد القيرواني المتوفى سنة ٤٠١ هـ .

ص ١٧٨

- ١٨ -

### أبو تمام الواعظ الوهراني

- عالم عابد ولي . سكن بجاية واشتغل فيها بعلم التنكير .

ص ١٧٩

- ١٩ -

### أبو على عبد المحسن الوجعاني الصواف

- عالم عابد فقيه بجائي ارتحل الى المشرق للحج فظهر أمره بمصر ظهورا كليا .

ص ١٨٠

- ٢٠ -

### أبو الحسن على بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن قاسم الأنصاري [ ٥٦٠ - ٦٥٧ هـ ]

- عرف بابن السراج الاشبيلي . وهو عالم فقيه راوية متعبد من أهل اشبيلية ، استوطن بجاية ومات بها .

ص ١٨١

- ٢١ -

أبو إسحق إبراهيم بن ميمون بن بهلول الزواوي  
ت ٦٨٦ هـ

أديب فقيه ولى . له نظم حسن وكلام فى النثر مستحسن رحل الى  
المشرق وتوفى ببجاية .  
ص ١٨٢

- ٢٢ -

أبو تميم ميمون بن جبارة بن خلفون البردوى  
ت ٥٨٤ هـ

فقيه رحل الى المشرق وعاد الى مراکش فعينه خليفته قاضيا لبلنسية  
سنة ٥٦٨ هـ ثم صرف عن ذلك منقولا الى قضاء بجاية ، واستقدم الى مراکش  
من بجاية ليتولى مرة ثانية قضاء بلنسية فتوفى فى طريقه اليها بتلمسان  
سنة ٥٨٤ هـ .

ولست أرى له ما يجعل الغبريني يكسر به شرط كتابه ؛ فهو من أهل  
القرن السادس الهجرى لا السابع .

ص ١٨٢

- ٢٣ -

أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الفهرى المشتهر بالأصولى

عالم فقيه أصولى متكلم موسيقى . من أهل بجاية ، وقد ولى قضاءها  
ثلاث مرات .

وهو صاحب الفضل فى انقاذ أبى الوليد بن رشد من فتك المنصور  
الموحدى به ، فانه لما كتب فى مؤلفه [ الحيوان ] :

[ ورأيت الزرافة عند ملك البربر ] .

وهم المنصور بقتله قال : انما كتب : [ ورأيت الزرافة عند ملك البرين ]  
رأى ما جاء فيه زيادة ونقص .

ودفاع آخر دافع به عن صديقه وصفيه ابن رشد ، وهو أنه كان قد  
جرى بمجلس أمير المؤمنين منع العمل بالشهادة على الخط فاستند الفهرى  
على ذلك وحاج أمير المؤمنين قائلاً :

منعتم الشهادة على الخط فى الدرهم والدينار ، وتجحدونها فى قتل  
المسلم !!؟

والدفاعان قويان وهما يدلان على حسن التصرف ورباطة الجأش .

ص ١٨٤

- ٢٤ -

أبو العباس محسن بن أبى بكر بن شعبان

عالم فقيه خطاط من أهل بجاية .

ص ١٨٧

- ٢٥ -

أبو محمد عبد الكريم بن عبد الملك بن عبد الله بن طيب الأزدي

عرف بابن يبكى القلعى ، وهو عالم فقيه من قلعة بنى حماد ، يقول  
الغبريني عنه : صاحب الرابطة المعروفة برابطة ابن يبكى بداخل باب ميسون  
من أعلى سند بجاية وبها قبره رحمه الله .

ص ١٨٨

- ٢٦ -

أبو عبد الله محمد بن صمغان القلعى

فقيه قاض محدث من قلعة بنى حماد، لكنه رحل الى بجاية واستوطنها .

ص ١٨٩

- ١٠١ -

- ٢٧ -

أبو عبد الله بن أمة الله

عالم فقيه من أهل العلم بأصول الدين، كان له من المعرفة به والاشتهار  
بـيه ما أربى على المتقدمين .

ص ١٩٠

- ٢٨ -

أبو جعفر بن أمية

أديب فقيه ذو خط جميل ، له شعر كثير فى النسب والحكمة والتصوف  
ومن شعره فى التحقيق هذان البيتان :  
ظهرت فلم تعرف لشدة غفلة

عرضت فأنكرت النفوس ظهورها

ولقد أطلوا الخبط فيها عشوة

وهى التى أشهدتهم نورها

ص ١٩٠ - ١٩١

- ٢٩ -

أبو عبد الله محمد بن على بن حماد بن عيسى بن أبى بكر الصنهاجى القلى

عالم فقيه من أهل قلعة بنى حماد قرأ ببلده وقرأ ببجاية ولقى بها جلة  
منهم الشيخ أبو مدين شعيب رضى الله عنه .

ص ١٩٢

- ٣٠ -

أبو محمد عبد الحق الأزدى الاشبلى

ت ٦٢٨ هـ

محدث أصولى نحوى مؤرخ أديب . من مؤلفاته :

- ١ - الاعلام بفرائد الأحكام .
- ٢ - شرح مقصورة ابن دريد .
- ٣ - اللبذ المحتاجة فى أخبار صنهاجة بافريقية وبجاية .

ص ١٩٣

- ١٠٢ -

- ٣١ -

أبو محمد عبد الله بن أحمد بن عبد السلام . عرف بابن الطير

فقيه أصولي . ولى قضاء بجاية محمولا عليه وهو لا يريد .

ص ١٩٤

- ٣٢ -

أبو زيد عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي الصقلي المعروف بابن الحجري

فقيه نحوي لغوي ، أصله من صقلية كما تدل نسبته . لكن أخذ العلم

عنه ببجاية خلق كثير .

ص ١٩٥

- ٣٣ -

أبو محمد عبد الله بن محمد بن يحيى الأغماتي

لعروي نحوي فقيه منطقي مؤرخ من أهل اغمات بالمغرب الأقصى استوطن

بجاية وولى القضاء ببعض جهاتها وكان مشغولا بالتدريس بها وقرأ عليه

الشيخ الأجل أبو اسحاق بن عمران أيام ولايته السلطانية ببجاية .

ص ١٩٦

- ٣٤ -

أبو عثمان سعيد بن عبد الله المعروف بالجمل

فقيه متصرف ، جلس للاقراء ببجاية . وكان نافذ النظر في أصول

الدين وهو أعظم علومه .

ص ١٩٨

- ٣٥ -

أبو علي عمر بن مالك المرساوي

كان أعلم الناس بعلم الكلام وبأصول الدين ، يقول الغبريني : « وكل

من كان له مشاركة في أصول الدين ببلدنا فما كان أخذه الا عن طريق

أبي علي المرساوي » .

ص ١٩٨

- ٣٦ -

أبو الحسن علي بن عمران بن موسى الملياني . عرف بابن أساطير .

يقول الغبريني عنه : كان له علم بالفقه وأصول الدين والتصوف وعلوم  
الحكمة قرأ عليه بعض خواص أصحابه كتاب الاشارات والتنبیهاة لابن سینا  
وكان من عدول بجایة وخيارها .

ص ١٩٩

- ٣٧ -

أبو علي منصور بن أحمد بن عبد الحق المشدالي  
ت ٧٣١ هـ

له علم بالفقه وأصول الفقه وأصول الدين . وله مشاركة في علم المنطق  
وعلم العربية .

ص ٢٠٠

- ٣٨ -

أبو اسحاق ابراهيم بن أحمد بن الخطيب

فقيه نحوي منطقي أصولي حكيم متصوف أديب .  
أورد له الغبريني شعرا حسنا في التصوف .

ص ٢٠١ - ٢٠٢

- ٣٩ -

أبو محمد عبد الوهاب بن يوسف بن عبد القادر

له تحصيل في الفقه، جيد ، وله علم بأصول الدين وأصول الفقه ،  
ومعرفة بالحكمة وبراعة في علم المنطق .

قرأ ببجاية ثم رحل الى المشرق وتوفي بتونس حوالي سنة ٦٨٠ هـ  
ص ٢٠٤ - ٢٠٨

- ١٠٤ -

- ٤٠ -

أبو زيد عبد الرحمن بن علي بن أبي دلال

أديب شاعر خطيب له مشاركة في الفنون وفي عقل العلوم ونقلها  
وجزه أحسن توجيز ، ومن نظمه في بعض أصحابه قصيدته السيذية اللزومية  
وهي قصيدة سهلة لعدم تكلفها وقلة تعسفها .

ص ٢٠٥

- ٤١ -

أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن سبعين المرسي

له مشاركة في معقول العلوم ومنقولها ، وله فصاحة وبلاغة .  
كتبه كثيرة في أيدي الناس ، لكن له فيها الغازا وإشارات وتسميات  
مخصوصات هي نوع من الرموز ، وفي المقابل له تسميات ظاهرة هي كالأسماء  
المعهودة ، وله شعر في التحقيق في مراقى الطريق .

وكتابه مستحسنة في طريق الأدباء . توفي حوالي ٦٦٩ هـ .

ص ٢٠٩

- ٤٢ -

أبو الحسن علي التميمي الششتري

ت ٦٦٨ هـ

أديب صوفي حكيم فقيه ولي . شعره في غاية الانطباع والملاحة  
وتواشيقه وأزجاله في غاية الحسن .

أندلسي الأصل . عاش في بجاية ومات بمصر ، وقبره في ثغر دمياط  
على البحر الأبيض المتوسط .

ص ٢١٠ - ٢١٢

- ٤٣ -

أبو العباس أحمد بن أبي القاسم عبد الرحمن بن عثمان التميمي الخطيب

غلب عليه الفقه ، وهو أول بيت بنى الخطيب ببجاية ، ولي قضاءها



من مراكش ، وقد استمرت مدته وطالت ولايته ، وكان أكثر الناس حظوة عند  
بنى عبد المؤمن .

ص ٢١٣

- ٤٤ -

أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أبي القاسم عبد الرحمن بن عثمان التميمي  
ت ٧٢٠ هـ

أحد قضاة العدل ، وولاة الدين والفضل ، ولى قضاء سبته بالعدوة  
وبلفسية بالاندلس ومات بمدينة ترنس ، فلعله مر ببجاية وهو في طريقه الى  
افريقية والا لما ترجم له الغبريني هنا .

ص ٢١٤

- ٤٥ -

أبو محمد عبد الله بن حجاج بن يوسف الجزائري

من الفقهاء الذين تولوا القضاء ببجاية .

ص ٢١٥

- ٤٦ -

أبو محمد عبد الكريم بن عبد الواحد الحسني

فقيه ، وهو الذي ترافع في حضرة أمير المؤمنين بمراكش عن الفقيه  
أبي زكرياء الزواوي لما خاض في أمر ابن حزم حتى قال الخليفة : يترك  
هذا الرجل [ الزواوي ] على حسن اختياره ، أي على حسن اختياره من  
يدافع عنه .

ص ٢١٦

- ٤٧ -

أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الأريسي

فقيه مفت يجيد الخط المشرقي .

ص ٢١٧

- ١٠٦ -

- ٤٨ -

أبو على عمر بن عزون السلمى

رحل الى بلاد المشرق فقراً ومهر ، وعاد الى بجاية فظهر واشتهر وحظى  
بها فكان المشاور والمفتى .

ص ٢١٨

- ٤٩ -

أبو الحسن على بن عبد الله الأنصارى البونى

ناب عن القضاة فى بجاية نيابة مطلقة تنزلت منزلة الأصالة . وما ذلك  
الا لنهوضه فى الأحكام ومعرفته بوجوه الحلال والحرام .

ص ٢١٨

- ٥٠ -

أبو عبد الله محمد بن محمد بن الحسين الخشنى البجائى

عالم . فقيه . مشاور .

ص ٢١٩

- ٥١ -

أبو زكرياء يحيى بن على بن حسن بن حبوس المهدائى

كان أحد الفقهاء المشاورين ، والجلة المفتين ببجاية .

ص ٢٢٠

- ٥٢ -

أبو اسحاق بن العرافة

ولى صلاة الفريضة والخطابة بالجامع الأعظم ببجاية ، وكان له به  
مجلس علم حافل يدرس فيه علوم الرواية وعلوم الدراية .

ص ٢٢٢

- ٥٣ -

أبو سعيد بن توفارت الدكالي

لم تكن له مشاركة فيما سوى الفقه وقد درسه ببجاية .

ص ٢٢٢

- ٥٤ -

أبو زيد عبد الرحيم بن عمر اليزناتي

رحل الى المشرق فلقى الأفاضل وجد واجتهد ، ولما وصل الى بجاية  
استتهر بها وعكف على التدريس فيها ، وكان محصلاً لمذهب مالك ، ولأصول  
الفقه على طريقة الأقدمين ، ومن أهل الاجتهاد .

ص ٢٢٣

- ٥٥ -

أبو زكرياء اللقنتي الأندلسي

فقيه أندلسي رحل الى بجاية واستوطنها وأقرأ بها . وأسمع ، وكان  
جلوسه بالجامع الأعظم ، ولما رحل الى حاضرة تونس استدعاه ملكها  
وسأله عن حاله وعن طلبته .

ص ٢٢٤

- ٥٦ -

أبو سليمان داود بن مطهر الوجعاني

رحل الى المشرق فحج وأقرأ ودرس ورأس واجتهد ، كان له علم بالفقه  
وبأصوله وأصول الدين ومشاركة في العربية .

ص ٢٢٥

- ٥٧ -

أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن السطاح الجزائري

ت ٦٢٩ هـ

نحو لغوى فقيه . أصله من الجزائر . رحل الى أشبيلية وأقرأ بها .  
وهو أول من أدخل كتاب [ الأنوار في الجمع بين المنتقى والاستذكار ] الى  
العدوة ، نسخة بخط يده .  
استوطن بجاية وأقرأ بها وناب عن قضاتها في الأنكحة .

ص ٢٢٥

- ١٠٨ -

- ٥٨ -

أبو يوسف يعقوب بن يوسف الزواوى المنجلى  
ت ٦٩٠ هـ

- متعبد مبارك له معرفة بالفقه وأصوله ومشاركة فى علم العقائد
- قرأ ببجاية ورحل الى حاضرة افريقية ثم رجع الى بجاية وأقرأ بها وعظم أمره واشتهر حتى صار مجلسه بها من المجالس المعتبرة
- توفى بتيكلات وهى مكان معروف ببلاد القبائل ودفن حيث مات

ص ٢٢٦

- ٥٩ -

أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبى بكر المنصور القلى

فقيه من قلعة بنى حماد ، كان له علم بالحساب سبق فيه الأوائل والأواخر لو لقيه الحصار وابن وهيب ما أمكنهم الا الاستماع منه والاخذ عنه ، وكانت له طريق فى الفرائض ملخصة فى نهاية القرب ، ولم يكن ببجاية فى وقته أحد يريد قراءة هذا العلم الا قرأه عليه ، وكان يقصد من البلاد لقراءة هذا العلم عليه

- توفى ببجاية فى عشر الستين وستمائة

ص ٢٢٧

- ٦٠ -

أبو على عمر بن أحمد العمرى البجائى

فقيه أصولى من أهل بجاية ، رحل الى المشرق فلقى الأفاضل وحج ، ولما رجع الى بجاية كان أحد عدولها والمتصدرين للتدريس بها

ص ٢٢٨

أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن دحية الكلبي  
ت ٦٣٣ هـ

أديب نحوي مؤرخ محدث فقيه ، استوطن بجاية وروى بها وأسمع  
كان من أحفظ أهل زمانه للغة حتى صار حوشيا عنده مستعملا غالبا عليه ،  
ولا يرضى الغبريني عن ذلك ، وهو يفسره بحب الظهور والاشتهار . رحل  
الى المشرق في عهد الأيوبيين فرفعوا شأنه وقربوا مكانه ، وحضروا له  
مجلسا أقرؤا له فيه بالتقدم .

كتب الى الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب قصيدة رائعة منها :

ما لي أسائل برق بارق عنكم  
من بعد ما بعدت ديارى عنكم  
وبمنحني الأضلاع بل وادي الغضا  
من مهجتي يا راحلين نزلتم  
فمحلكم قلبي وأنتم بالحشا  
لا بالعقيق ولا برامة أنتم

ولما رد عليه ممدوحه بنثر وشعر يثنى عليه وعلى شعره فيهما كتب  
له قصيدة أخرى أروع وأوقع .

ص ٢٢٨ - ٢٣٨

أبو الربيع سليمان الأندلسي المعروف بكثير

شاعر ناقد فقيه له علم بالحديث ومعرفة برجاله ، حافظ لأسانيد  
محصل لمعانيه ، من أهل الضبط والحفظ . قال الغبريني عنه :

وأما الأدب فشؤوه فيه لا يدرك ، سبق فيه أهل الزمان وأرسي ، ومثله  
في الفصاحة والبلاغة تحل الحبي . وقال أبو الحسن الحرالي :

بلغ كثير في رتبة البلدان أن يكون كأوائل العرب يحتج بشعره في ذلك

لما كان انتهى اليه من الفصاحة والبلاغة حتى صارت له طبيعة ، وكان سريع  
البديهة ؛ يكتب عنه ولا يقف ، ويورد أحسن ايراد .

له قصيدة فى نحو خمسمائة بيت بصف فيها حاله ويعاتب وقته هذا  
مطلعها :

الحمد لله ليس لى بخت ولا ثياب يضمها تفت

وكان لسان نقد على المؤلفين والمصنفين والمتكلمين .

ومن جملة نقوده قوله عن كتاب الاحياء لأبى حامد الغزالى :

ومتى ماتت العلوم حتى تحيا !!؟ علوم الدين ما زالت حية ولا تزال .  
٢٣٩ - ٢٤١

### أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الوغليسى

أديب فقيه عالم بالكتابتين الأدبية والشرعية ، كان المعتمد عليه فى  
وقته فى المخاطبات السلطانية انشاء وجوابا ، كما كان عليه اعتماد القضاة  
فى التسجيلات ، واليه كان يهرع اهل البلاد ذيما يحتاجون اليه من الوثائق  
المحكومات والأمور المستغريات .

ولى الخطابة بجامع القصبة المحروسة فى بجاية ، وكان فصيح القلم  
واللسان بارع الخط .

ص ٢٤١

أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن سليمان بن محمد  
الزهرى ويعرف بابن محرز البلنسى  
ت ٦٥٥ هـ

أديب لغوى مؤرخ فقيه محدث راوية ، لقى كثيرا من الفضلاء فى

الأندلس والمشرق والمغرب ، وأجاز له كثير منهم ، وقد ارتحل الى بجاية بعد الأربعين وستمائة واستوطنها الى أن مات بها .  
رأى له الغبريني نظما ونثرا لا بأس بهما .

ص ٢٤١ - ٢٤٤

أبو عثمان سعيد بن علي بن محمد بن عبد الرحمن بن زاهر الأتصاري البلسي  
ت ٦٥٤ هـ

فقيه أندلسي من بلنسية . استوطن بجاية وأقرأ بها وأسمع  
أخذ عنه واستفيد منه . له علم بالقراءات وحظ من العربية .  
محكم الرواية متقن الدراية .

ص ٢٤٥

أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن محمد بن محمد  
ابن سيد الناس اليعمرى الأشبيلي المتوفى سنة ٦٥٩ هـ

فقيه لغوي نحوي مؤرخ راوية حافظ للحديث عارف برجاله ، وهو في  
معرفة القراءات امام ، ولى صلاة الفريضة والخطبة بالجامع الأعظم ببجاية  
ولما اشتهر حاله وعلمه ، ونقل الناقلون نكاهه وفهمه ، نسي خبره الى  
المستنصر بالله بالحاخرة الافريقية ، فاستدعاه وقربه ، وقد ظل هناك حتى  
مات .

قال الغبريني عنه : كان يكتب جيدا وينظم نظما حسنا ، ثم أورد له  
أبياتا جيدة على قافية الغين .

ص ٢٤٦ - ٢٥٩

أبو المطرف أحمد بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن عميرة المخزومي  
ت ٦٥٨ هـ

هذا الشيخ أبو المطرف قد تحمس الغبريني له تحمسا عظيما ، وكتب

ترجمته وهو فى قمة الانفعال به ، ولعله قد أحس بذلك وظن أننا أو غيرنا  
يمكن أن نتهمه بالاسراف أو بالخروج عن الموضوعية فى الكتابة العلمية .

فدافع عن نفسه بأمرين :

أولهما : ايراد نصين نثريين من انشائه واعتذر عن ايراد ثالث بخشية  
الاطالة .

وثانيهما ! أنه فى نهاية الترجمة له قد وثقها باسنادها الى شيوخ  
ثلاثة وهو لا يفعل ذلك مع كل أحد .

وهذه مقتطفات مما جاء فى هذه الترجمة قال :

الشيخ الفقيه المجتهد العالم الجليل الفاضل المتقن المتفذن .

اعلم العلماء وتاج الأدياء ابن عميرة المخزومى من أهل جزيرة شقر سكن  
بلنسية مدة وكتب عن ولاتها ، فاق الناس بلاغة وأربى على من قبله وتهادته  
الدول ، وولى القضاء بإيريرة وشاطبة من الأندلس وسسلا ومكناسة من  
العدوة ، وقسنطينة وقابس من بلاد افريقية وغيرها .

استوطن بجاية مدة طويلة وأقرأ بها ودرس ، له علم بالفقه ، وأصوله  
وحديث حسن فى معفوله ومنقوله ، وله أدب هو فيه فريد دهره ، وسابق  
أهل عصره . والناس يتداولون كتبه ويستحسنونه ويؤثرونه على كتب غيره ،  
وبالواجب - علم الله - أن يكون كذلك لسلوكه حسن منهجه الذى هو فيه  
أول سالك .

والذى أوجب تقدم الفقيه أبى المطرف فى كتابته انما هو أن الرجل من  
أهل بلنسية ومن أهل العلم فيها . فكتابته علمية أدبية ، وكتابه غيره  
مقتصرة على نوع الأدب ، وهذا المعنى هو الذى تميز به عن عسدها وسبق  
من سواه .

وكان الطلبة مدة كونه بجاية يقرأون عليه تنقيحات السهروردى وهى  
من مغلقات أصول الفقه عند من لم يمارس علم الأصول ، ولا يتعرض لاقرائها  
الا من له ذهن ثاقب .



رجل الى حاضرة افريقية واتصل بالخليفة المستنصر بالله فاستقضاه  
فمايس ثم استدعاه وجعله من خواص الحاضرين بمجلس حضرته ومن فقهاء  
بوالته ، وقد توفي بتونس .

ص ٢٥٠ - ٢٥٣

أبو عثمان سعيد بن حكم بن عمر بن حكم بن عبد الغنى القرشى  
ت ٦٨٠ هـ

فقيه جمع بين الرواية والدراية ، له علم بالعربية والأدب ، وله نظم  
ونثر وكتابه مستحسنة ، ولا عجب ؛ فقد كان فصيح القلم واللسان ، دخل  
بجاية وبقي بها مدة ثم انتقل الى تونس ومنها انتقل الى ثغر ميورقة التي  
توفى بها .

ص ٢٥٤ - ٢٥٥

أبو على الحسن بن موسى بن معمر

أديب لسان فصيح فقيه مليح الحكاية بارع الخط حسن النظم والنثر .

كان صاحب العلامة المستنصرية ، وكان له عند المستنصر حظ ؛ فقد  
كان يستطرف حديثه ويعجب به ، وكان يوم دخوله عليه وجلوسه عنده يطول  
الأمر على الواقفين بين يديه فلا يكون عليهم أشد من ذلك اليوم .

ولى قضاء بجاية فحسنت فيه سيرته واستحسنت طريقته ، وكان محبا  
للناس مشكورا عندهم .

لما غضب عليه المستنصر احتال حتى أوصله هذين البيتين له :

وا حسرتى فى مقام بين أظهركم  
قوم رجاؤهم باليسأس مفضوح  
صددوا وسددوا عن المضطر بابهم  
وما دروا أن باب الله مفتوح

قالوا : فذرفت عينا أمير المؤمنين رضى الله عنه وظهر له وجه البر  
والرضى وغفر له .

يقول الغبريني ناقدنا : والبيت الثانى مليح القصد ، وأما الأول فظاهر  
فيه وجه النقد .

ص ٢٥٥ - ٢٥٦

- ٧٠ -

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى بكر بن عبد الله بن عبد الرحمن  
ابن أحمد بن أبى بكر القضاعى الشهير بابن الأبار  
المتوفى سنة ٦٥٨ هـ

أديب لغوى نحوى مؤرخ فقيه محدث نشأ ببلمسية وتخرج على أيدي  
علمائها ، وصحب أبا الربيع بن سالم بضعاً وعشرين سنة ، وهو الذى  
ندبه الى وضع كتاب التكملة لصلة أبى القاسم بن بشكوال .

كتب اليه كثير من علماء المسلمين فى المشرق والمغرب ، ولا يكاد كتاب  
من الكتب الموضوعه فى الاسلام الا وله فيه رواية اما بعموم واما بخصوص .

رحل الى العدو واستوطن بجاية ودرس بها وأقرأ وروى وأسمع  
وصنف وألف ، وهو ممن لا ينكر فضله ولا يجهل نباه ، له تأليف حسنة  
ونزعات فى علم الأدب بارعة .

استدعاه أمير المؤمنين المستنصر الى حضرته فلما مثل بين يديه أنشده :

بشراى باشرت الهدى والنورا  
فى قصدى المستنصر المنصورا  
واذا أمير المؤمنين لقيته  
لم ألق الا نصرة وسرورا

فحظى عنده ببلغ عنده مأموله وقصده .

يقول الغبريني : لو لم يكن له من الشعر الا القصيدة التى رفعها لتمام

الأمير أبي زكرياء رحمه الله يستنجده ويستصرخه لنصرة الأندلس والتي  
مطلعها :

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا  
ان السبيل الى منجاتها درسا

لكان فيها كفاية .

ولو لم يكن له الا الكتاب المسمى | اللجين في مراثي الحسين [ لكذاب  
في ارتفاع درجته وسمو رتبته ، فكيف لا ، وله تصانيف وجملة تأليف من  
شعره رحمه الله ورضى عنه :

ساق من روض الأمانى أرجسه  
ولأمر ما شجالي مدرجه  
خيلت لي أنها تعذني  
وخيالات الفتى تستدرجه  
فلذا أكذب شيء فجرها  
ولقد غر الحجب منبلجه  
يا شقيق النفس أوصيك  
وان شق في الاخلاص ما تنتهجه  
لا تبت في كمد من كبد  
رب ضيق عاد رجبا مخرجه  
وبلطف الله أصبغ واثقا  
كل كرب فعليه فرجه

توفى رحمه الله بتونس في العشرين من محرم عام ٦٥٨ هـ .

ص ٢٥٧ - ٢٦١

أبو محمد عبد الله بن علوان

كاتب أديب منشاء فقيه ، جمع بين الكتابتين الأدبية والشرعية ، وكان  
شيخ كتاب الكتابة الشرعية في وقته ، له نظم في الفرائض سلك فيه طريقة  
الحجازيين والنجديين ، وهو النائب في صلاة الفريضة بالجامع الأعظم ،  
وقد أورد له الغبريني شعرا جزلا فحما سما لفظا ومعنى .

ص ٢٦٢ .. ٢٦٤

### أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله المعافى

فقيه مقرئ نحوى ، قرأ على أبيه بالقلعة الحمادية ، ثم ارتحل الى بجاية . جالس للتدريس بجامعة الأعظم ، وكل من قرأ عليه وصفه باتقان الرواية وجودة الدراية .

كان لا يتسامح فى اجازة بوجه ، ولا يمكن منها الا بعد التحصيل الطويل ، ومن ظفر من الطلبة باجازته فقد ظفر بالغاية القصوى ، ووصل الى المرتبة العليا .

ص ٢٦٥



### أبو الحسن على بن مؤمن بن محمد بن على الحضرمى عرف بابن عصفور

نحوى لغوى مؤرخ مفسر منطقى شهير الذكر رفيع القدر ، من أهل اشبيلية قرأ بها على أبى على الشلوبين ، فحصل له ما لم يحصل لغيره .

يقول الغبريني : وكل من قرأ على أبى على الشلوبين ببلده نجب . وأجلهم عندى رجلان : أبو الحسن هذا ، والأستاذ أبو الحسن بن الربيع وأجل الأستاذين أبو الحسن بن عصفور ، وما أعتقد فى الأسانيد من المتأخرين أجل منه ، فقد جمع رحمه الله بين الحفظ والاتقان والتصوير وفصاحة اللسان .

تأليفه فى العربية من أحسن التأليف .

له [ المقرب ] وهو كتاب بارع ، وله على الايضاح ، وله شرح أبيات الايضاح لم يسبقه أحد بمثله ، وكلامه فى جميع تأليفه سهل منسبك ، والذي قيد عنه أصحابه أكثر من تأليفه .

شرح جزءا من كتاب الله العزيز ، وسلك فيه مسلكا لم يسبق اليه .  
وقال : لو "عائني الوقت وأمدني الله بالمعونة منه ، وأكمل هذا الشرح  
على هذا المنزح لكان ذخيرة العالم .

يقول الغبريني : هو ممن له القدرة على هذا ، وهو أولى الناس بشرح  
كتاب الله تعالى .

ارتحل الى العدو . واستوطن بجاية ، وكان بها أستاذا للامير أبي  
يحيى برد الله ضريحه ، وارتحل الى حضرة تونس فحظى بها عند المستنصر  
بالله ، وكان أحد خواص مجلسه .

ص ٢٦٦ - ٢٦٧

\*\*\*

- ٧٤ -

أبو محمد عبد الحق بن يوسف بن حمامة الغبريني

نحوى لغوى فقيه ، كتابته تدل على بلاغته وبراعته وطلاقة قلمه  
وفصاحته ، ولى القضاء ببعض أكرار بجاية ، وكان معروفا بالعفاف  
وبالاقتصار على الكفاف .

ص ٢٦٨

- ٧٥ -

أبو الحكم مروان بن عمار بن يحيى

أديب لغوى نحوى فقيه من أهل بجاية ، دخل الأندلس وولى قضاء  
المرية .

ص ٢٦٩

- ٧٦ -

أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن موسى بن سليمان بن علي  
ابن عبد الملك بن يحيى بن عبد الملك بن الحسن بن محمد بن عميرة بن طريف  
ابن اشكورته الأزدي

أديب خطيب فقيه محدث راوية من أهل مرسية ومن بيت عريق في العلم؛  
فأبوه وجدته المذكوران في التكملة .

سكن بجاية وروى عنه بها ، وولى صلاة الفريضة بجامعها الأعظم .  
كان لا يعد خطبه بل يرنجلها ، وقد أجاز له كثيرون .

قدم الى حاضرة افريقية بعد الأربعين وستمائة ، وبعد ذلك استأذن  
فى الحج فأذن له ، وحج سنة ٦٥٦ هـ ثم عاد ، ولم يزل مأخوذاً عنه الى أن  
توفى بتونس ظهر يوم الأحد السادس والعشرين لجمادى الأخيرة عام أحد  
وستين وستمائة هجرية .

ص ٢٧٠ - ٢٧١

- ٧٧ -

أبو محمد عبد الله بن نعيم الحشمى الأندلسى  
ت ٦٣٦ هـ

أديب كاتب شاعر فقيه شرح مقامات الحريري وكتب على خطبتها نحو  
من خمسة عشر كراساً بالقلب الكبير .

كان ببجاية فى مدة السيد بن عمران من بنى عبد المؤمن .

وقد خمس [ المنفرجة ] لابن النحوى على الوجه الآتى :

لا بد لضيق من فرج - والصبر مطية كل شئ - وبدعوة أحمد فابتهج

اشتدى أزمة تنفرجى      قد أذن ليلىك بالبلىج  
يا نفسى رويدك لا حرج      وثقى بالله عسى فرج  
وكذا ما ضاق له فرج  
وظلام الليل له حرج      حتى يغشاه أبو السرج

وبعد أن أورد الخبرينى التخميس كاملاً علق عليه بقوله :

وهذا التخميس قد ظهر من أمره ومن العناية بمنشئه ما دل على  
خلوص نيته وصلاح طويته وأنا أرويه مع وصيته عن الشيخين :

أبى عبد الله بن رحيمة البانى ، وأبى العباس بن خضر الصدقى رحمهما  
الله ، ثم ذكر الوصية .

ص ٢٧١ - ٢٧٩

### أبو على حسن بن الفكون القسنطيني

الأديب البارع والفقيه الكاتب أبو على حسن بن الفكون من الأدباء الذين نستطرف أخبارهم وتروق أشعارهم غزير النظم والنثر . وكانهما أنوار الزهر .

رحل الى مراكش وامتدح خليفة بنى عبد المؤمن ، ومن وحى هذه الرحلة قصيدته الياثية المشهورة .

كان الأدب له من باب الزينة والكمال ، فلم يكن يحترف به لاقامة أود أو اصلاح حال .

أصله من قسنطينة من ذوى بيوتاتها ومن كريم أرومتها .  
تواشيعه جيدة وشعره ممتاز .

وقد اورد له الغبريائي ثلاثة نماذج من ثلاث فصائد ، وتجتزىء هنا بهذه الأبيات من النموذج الثانى وهو فى وصف قصر الربيع الموحدى ببجاية لما كان فى زيارته ضيفا على صاحبه مع جماعة قال :

عشونا الى نار الربيع وانما  
عشونا الى نار الندى والمعلق  
ركبنا بواديه جياذ زوارق  
فزلنا اليها عن ضوامر سبق  
وخضنا حشاه والأصيل كأنه  
بصفحته تير جرى فوق زئبق  
ص ٢٨٠ - ٢٨٦

### أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد الأدريسى المعروف بالجزائرى

شيخ كتبة الديوان ببجاية ، له شعر كثير فى كل فن ، وشعره حسن سهل يكثر فيه التجنيس الذى يأتى عفوا من غير تكلف .

ان أطلّ أعرب ، وان اقتصد أعجب ، مليح التواشيع ، أوردله الغبريني  
خمسين بينا موزعة على الابتهاال الى الله تعالى وعلى المدح والغزل قال :  
يا من على جسوده المعهود أتكل  
ويا ملاذى اذا ضاقت بى الحيل  
غرقت فى بحر أئامى فخذ بيدي  
وامنن بعفو فانى خائف وجل  
ص ٢٨٧ - ٢٩٤

### أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد السلام الدلسى

غلب عليه الأدب شعرا ونثرا ، فقد أجادهما وبرع فيهما ، كما برع  
فى الطب والفقہ والتاريخ ، « وما كان يجب أن ينسب الا أنه من الفقهاء  
لا من الأدباء » .

أصله من تدلس وهى دلس التى تبعد عن مدينة الجزائر بنيف ومائة  
كيلو متر .

ولما ولى القضاء ببعض كور بجاية سكنها وصار من أدبائها وعلمائها .  
وقد أورد الغبريني كثيرا من شعره .

ص ٢٩٤ - ٣٠٠

### أبو جعفر أحمد بن يوسف القهرى اللبلى الأندلسى

لغوى نحوى مؤرخ فقيه ، تعلم بالأندلس على مشايخ كثيرين منهم  
أبو على الشلوبيين ، ثم ارتحل الى العدو فسكن بجاية وأقرأ بها ، ولما حج  
لم يستفد من المشرق علما لأنه ما حج الا بعد الأستاذية .

وبعد الحج اتخذ تونس وطنا له عاش فيه ومات به .  
من كتبه :

- ١ - على الجمل .
- ٢ - شرح الفصيح لثعلب .
- ٣ - الاعلام بحدود قواعد الكلام .

ص ٣٠٠ - ٣٠١



### أبو العباس أحمد بن محمد القرشي الغرناطي

فقيه حافظ مؤرخ مدرس مفسر محدث راوية يقول الغبريني :

« سمعت عنه أنه يحفظ تاريخ الطبرى ، وذكر لى بعض أصحابنا أنه يحفظ تفسير الثعلبى ، وإذا حفظ هذين الكتابين استتبع حفظهما كثيرا من غيرهما .

سمعه وهو يدرس فى الجامع الاعظم ببجاية فدل كلامه على حفظه واثقانه .

له تأليف وتصانيف منها على كتاب الله تعالى طالعت بعضها ، .

وكان له اعتناء بأهل زمانه . شرع فى تأليف كتاب يذكر فيه المصنفين من أهل عصره فى المغرب والمشرق ، وراسل من رأى أن يترجم لهم ليخبروه بما صنعوه وهذا هو السبب فى أنه كان لأعلم الناس بالكتب المصنفة وأحفظهم لأسمائها .

ص ٣٠١ - ٣٠٢

### أبو عبد الله محمد بن أحمد المعروف بابن الجنان

كاتب بارع وشاعر رائع وفقه جليل وخطيب كبير من أهل الرواية والدراية وجودة الخط وحسن الضبط ، نثره ونظمه كله حسن ، وأى نوع انتقلت اليه من فرعى أدبه قلت : انه أحسن . نظمه ، غزير وأدبه كثير .

من داليتة المشهورة هذه الأبيات :

يا حادى الزكب قف بالله يا حادى  
وارحم صبابة نى نأى وابعاد  
ما ينبغى عنك الا أن تصيخ له  
سمعا ليسال عن صل بالوادى

فهل لديك عن الأحباب من خبر  
وهل نزلت بذاك الربيع والفسادى ؟  
بالله ان كنت قد خيمت عندهم  
بالمحنى بين أنجساد وأجساد  
هات الحديث عن المغنى وساكنه  
وارفع الى سنة العلياء اسنادى  
بين الجوانح نار للجسوى وقدت  
فان فدرت فأخمد بعض اخماد  
هيات تستطيع اخمادا وذكراهم  
يزيد نار ضلوعى نار ايقساد

ص ٣٠٢ - ٣٠٦



• بهذا ينتهى الكتاب تقريبا .

• وانما قلنا تقريبا لأن الكتاب لم ينته تماما .

ذلك أن الخبرينى بعد أن أعقب علماء القرن السادس الهجرى وعلى  
وجه التحديد نهاية هذا القرن .

أقول : بعد أن أعقب أبا مدين وعن معسه بمشيخته هو أى بأساتذته  
الذين قرأ عليهم ، وثلاث بعلماء القرن السابع .

رأى أن يختم الكتاب ببرنامج مشيخته ، وهو يقصد ببرنامج مشيخته  
توزيع العلوم التى درسها على شيوخه .

وبلغة العصر الحديث جدول حصصه ، أو جدول محاضراته على حسب  
المراحل التعليمية التى تدرج فيها .

وقد قسم هذه العلوم الى قسمين :

علوم دراية

وعلوم رواية

ورأى أن علوم الدراية هى : علم الفقه وعلم الأصولين : أصول الدين  
وأصول الفقه وعلم العربية وعلم المنطق وعلم التصوف .

أما علوم الرواية فالمقصود المهم منها انما هو علوم تفسير القرآن  
الكريم !! وعلوم الحديث

ويعود فيذكر علم الفقه وعلم العربية وعلوم التصوف والتذكير وهذا  
يعنى أن لهذه العلوم المكررة أو المشتركة بين الدراية والرواية جانبين :  
جانبا عقليا وجانبا نقليا .

ومهما يكن فهو قد قرن كل علم من علوم الدراية أو من علوم الرواية  
بالشيوخ الذين درسوا له هذا العلم أو ذاك ، ناظرا في ذلك الى تخصص كل  
شيخ أو كل طائفة من الشيوخ ، اذ كان قد اشترك في تخريجه فيه اكثر من  
شيخ .



ومما يلفت النظر أنه يؤكد جانب السند في علوم الرواية وينتهي  
بسندها الى مصادرها الأولى كمالك والشافعي والبخارى ومسلم والليث  
ابن سعد والطرشوشى والجزولى وسحنون ، وسيبويه وأبى على الفسارى  
والزمخشري وابن قتيبة وأبى تمام والحريرى . . . . . وهنا نتساءل :

ألم يكن وصول كتب العلماء السابقين الى الغبريني كافيا لنا ومغنيا  
له عن هذا السند الدقيق والوثيق ، والذي هو فى نفس الوقت شاق ومجهد!

طبعاً كان ذلك كافياً وشافياً .

لكنها الدقة العلمية من الغبريني ، أو لكنه الالتفات الشديد الى جوانبه  
العلمية :

يبرزها ويفرزها ويصنفها ليوزعها على أصحابها الذين أعطوها له  
أو أخذها هو منهم .

ربما ليقول لنا :

اننى ان كنت أصبت فيما نصبت واجتهدت .  
وان كنت أخطأت ، فالعهدة على الكتاب الذى عنه نقلت أو على الشيخ  
الذى منه أخذت .

ربما

وقد تكون الأمانة العلمية والاعتراف بالفضل لذويه هو الذي جعله  
يجهد نفسه ويجهدنا معه . غفر الله له ورحمه .

\*\*\*

بقيت كلمة عن أسلوب عنوان الدراية :

وواضح أنه أسلوب سهل وساطع .

قالغبريني لا يتقعر ولا يتوعر ، وإنما يطلق نفسه على سجيتها  
تسقط الكلمات بخفة على أفكارها ، أو تجذب الأفكار كسوتها اللغوية اليها  
جذبا رقيقا لطيفا ممتعا .

انه يكاد يكون مثالا لما نسميه اليوم بالأسلوب العلمي المتأدب وهذا  
الأسلوب يستخدم في مجالين اثنين هما :

• الدراسات الانسانية .

• وتيسير العلم .

وفي الحق أن عنوان الدراية موزع على هاتين الناحيتين :  
فالكلام عن العلماء دراسات انسانية

والكلام عن علمهم تيسير لهذا العلم بخلخلته من مصطلحاته العلمية ،  
وجعله مفهوما للقارئ غير المتخصص .

\*\*\*

أما منهجه :

- فهو المنهج القائم على وحدة الترجمة .
- لا أبراب ولا فصول .
- وإنما تراجم متتابعة وأكد أقول متشابهة .

بيداً الترجمة بأجمال مداركها من فقه أو لغة أو نحو أو تفسير أو حديث.  
أو أصول أو تصوف أو وإلاية أو خطابة أو قضاء أو ادب .

يعطى لترجمه من ذلك ما نبغ فيه واشتهر بين الناس به ثم كرامات  
أو تأليف أو مشيخة وسند .

وإذا غلبت على من يكتب عنه ناحية انشائية مثل لها تمثيلاً يتردد بين  
الطول والقصر .

وهو في الأعم الاغلب يصحبه من ولادته الى وفاته ، ولربما أرخ لهذه  
الوفاة وحدد مكانا .

#### وبعد :

فقد أنهى الغبريني كتابه في صفحة ٣٢٣ داعياً للمؤلف والكتاب  
والقارئ والراوى بالنتفع ، ويجعل مقصدهم من أفضل المقاصد وأحسن  
المساعي .

وأطمح - وقد عايشت الكتاب وعرضته وحللته - ان اكون داخلاً في  
هذا الدعاء من بابين :

• باب القراءة

• وباب الرواية

فأنا بهذه الدراسة لكتابه قد قرأته ورويته .

وأشهد : لقد كان قصدي فيما قمت به نحو كتابه من أفضل المقاصد  
وأحسن المساعي .

ان أريد الا الاصلاح ما استطعت .

وما ترفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب .

فلسطينية في

١٩٧٨/٥/١٢

## أسئلة الاسقيا وأجوبة المغيلي

هذا الكتاب من ذخائر المغرب العربي ، ونحن إذ نعرض له بالتحليل والدراسة في سلسلة القرائث الأدبي للمغرب العربي ، وإنما نفعل ذلك على سبيل التوسع في معنى الأدب ؛ فهو دراسة اجتماعية وسياسية واقتصادية وحربية ودينية .

وإذا كان الأدب مرآة تعكس انفعالات الأديب واهتماماته الانسانية مهما تنوعت اتجاهاتها واختلفت محاورها ، فإنه كذلك وينفخ المقدار يعكس نبض الأمة ويرصد مشاغلها حكما ورعية .

وليس ردة من الأدب ولا خروجا على رسالته ما نراه أحيانا عند نوى الميول الاصلاحية من توسع في مفهومه .

وإذا كنا - بسبب موضوعاتهم - لا ننحاز بكتاباتهم الى النثر الأدبي الخالص .

وإذا كنا أيضا - بسبب تلوين هذه الكتابات بالصبغ الفني الجمالي - لا ننحاز بها الى النثر العلمي الخالص .

فإن هذه الكتابات تقع وقوعا طبيعيا - وإنكاد أقول : أليا - في المنطقة الوسطى بين النثرين العلمي والأدبي ، وهي ما تسميه الدراسات النقدية الحديثة بالأسلوب العلمي المتأدب :

ومن هذه الكتابات ، أو من هذا الأسلوب « أسئلة الاسقيا وأجوبة المغيلي » .

فهو كتاب علم إذا نظرنا الى مضمونه ، وكتاب أدب إذا نظرنا الى صياغته ، هو مزيج من الفكر والشعور ، وقد كتبه صاحبه بحماس المصلح الاجتماعي ، وغيره رجل الدين الملتزم ، وقد جاءت أفكاره لهدا مزجاء بالعاطفة ، عاطفة الحب للسلطان والنصح له ، وعاطفة الحب للدين والحرم عليه .

وستعلم بيئة الكتاب وتاريخ تأليفه وظروف هذا التأليف ، ونحن نعرف بمؤلفه المغيلى ، وبمن ألفه له وهو :

### الأسقيا محمد الأول ملك سنغاي وصاحب الأسئلة(\*)

هو: أبو عبد الله محمد بن أبى بكر الملقب بآسكيا ، سراكولى الأصل ، هاجر أجداده فى نهاية القرن الحادى عشر من جنوبى موريتانيا الحالية - وقد كانت جزءا من مملكة غانا - الى بلاد النيجر ، وامتزجوا بالمصاهرة والنسب مع قبيلة سنغاي .

ولما كبرت تلك القبيلة وأحست بقوتها بعد دخول السراكوليين فيها ، وامتزاجهم بها ، بدأت تتوسع وتتحول الى امارة ، لكنها كانت امارة صغيرة تابعة لمملكة مالى .

ولما بدأت عوامل الضعف تنخر فى جسم هذه المملكة ، وعلى وجه التحديد فى سنة ١٣٣٦ م استقلت امارة سنغاي عنها بقيادة آل سنى .

وفى عهد الأمير سنى على بارو [ ١٤٦٥ - ١٤٩٢ م ] كان الأسقيا محمد أحد الضباط البارزين فى جيشه ، والرجل المسئول عن سياسة التوسع، لكن الملك سنى على كان حاكما مقسدا ، وربما كافرا ملحدا ، كما سنوى فى الأسئلة والأجوبة .

ولهذا رأينا الأسقيا محمدا يقوم بثورته عليه ويسقطه عن عرشه سنة ١٤٩٢ م ، وقد أنتهى بهذا حكم آل سنى الذى استمر ( ١٥٧ ) سبعا وخمسين ومائة سنة .

ولما كان الأسقيا محمد قد جاء الى الحكم عن طريق ثورة ؛ فانه رأى لزاما عليه أن يوطد ملكه ، وأن يثبت وجوده على عرش سنغاي .

ومن هنا كانت اصلاحاته الكثيرة ومسايرته للفقهاء ولرجال الدين ، ولعل أصله السودانى كان أحد عوامل نجاحه .

\* فيل فى تبرير لقب [ اسقيا ] او [ أسكيا ] : ان بنات سنى على لما قام محمد الاول بالثورة على أبيهن وبلغهن ذلك بلن : [ اسكيا ؟ ] أى اهو نفسه ؟  
فالتصق تساولهن بمحمد الاول عن ذلك الوقت .

أما آل سنى فهم أما زيغ بربر ، جاءت أصولهم من منطقة طرابلس الغرب مرورا بـفزان الى السودان .

ولم تمض سوى ثلاث سنوات حتى كان الأسقيا محمد قد تحول بمملكته من الشكل القبلى الى الشكل الوطنى الذى يسمح لجميع القبائل بالمشاركة فى الشئون العامة للبلاد .

وفى سنة ١٤٩٦ م سافر للحج .

وقد أنفق فى هذه الرحلة ثلاثمائة ألف قطعة ذهبية . فانه اشترى فى مكة أرضا ودارا يأوى اليها الحجيج السودانى ، وقد ظلت تعرف بـ[رواق التكرور ] ولكثرة نفقاته قوبل باحترام كبير من جانب شرفاء مكة ، وقلده كبيرهم مولاي العباس شارات السلطنة ، ولقب [ أمير السودان الغربى وخليفة السودان كله ] .

وقد سعد الأسقيا بذلك سعادة عظيمة ، ولا عجب : فهو قد كسب المكانة السياسية على أساس شرعى فى نظر رعاياه وغيرهم .

واثر رجوعه من الحج بروح معنوية عالية ، انهمك فى الفتوح الدينية ، فأخضع بلاد موسى . وبسط نفوذه على معظم أقاليم السودان الغربى .

وقد بلغت سنغاي على عهده من التوسع ما لم تبلغه فى تاريخها الطويل كله . بل ما لم تبلغه مملكة غيرها فى طول السودان وعرضه .

\*\*\*

وفى آخر أيامه خلعه أكبر أبنائه وولى عهده المسمى موسى ، وكان ذلك فى سنة ١٥٢٨ م .

\*\*\*

وعلى الرغم من أن أبناءه وأحفاده الذين حكموا بعده لم يكونوا مثله فى القوة ولا فى التمسك بأهداب العدل ، إلا أن مملكة سنغاي ظلت بقوة دفعة عظيمة ومسيطرة على جميع ما كان بيده ، حتى أنهى جيش المنصور الذهبى السعودى عهد آل اسقيا بانتصاره على جيش اسحق الثانى آخر



السلاطين الأسقيين سنة ١٥٩١ في معركة [ تونديني ] الى الشمال الغربي من [ غاو ] العاصمة .

وبهذا يكون حكم آل أسقيا لسنغاي قد استمر مدة ثمان وتسعين سنة من ١٤٩٣ الى ١٥٩١ م (١٤) .

### المغيلي مؤلف الأجوبة

هو محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي ، والمغيلي نسبة الى قبيلة مغيله التي كانت تقيم بالقرب من تلمسان .

وانذا كان تاريخ ولادته مجهولا ، فان تاريخ وفاته هو سنة ٩٠٩ هـ .

كان من أبرز المثقفين وقادة الفكر في عصره ، وقد انتقل بعد اتمام دراسته من الشمال الى الجنوب فسكن الصحراء ، ولا يعرف لذلك سبب مؤكد ، ولو أنه يمكن القول بأن حملته على اليهود الذين كانوا مسيطرين في أهم مدن الشمال على مصادر التجارة والمال ، هي التي ضيقت عليه في عيشه واضطرتته الى الهجرة ويسهل تصور ذلك اذا علمنا أن اليهود كانوا قد اشتروا ذمم بعض المسئولين الرسميين وجعلوهم صنائع لهم وسيوفا يسلطونها على خصومهم .

ولم يكن حظه في الجنوب بأحسن منه في الشمال ، فقد وجد اليهود يشاركون بنشاط كبير في حركة القوافل التجارية مع السودان ، ويتصرفون بحرية أكثر من الحرية التي يتمتعون بها في الشمال، أي أن المغيلي كان في انتقاله من الشمال الى الجنوب بسبب اليهود كالمستجير من الرمضاء بالنار .

لكنه هذه المرة كان ايجابيا بدعوته الملحة الى محاربتهم ، وبهدمه مع بعض أصحابه عددا من بيعة بمدينة [ توات ] وما جاورها .

ولما لم يجد لليل اليهود اخرًا انتقل الى [ كانو ] حيث اتصل بأmirها وكتب له رسالة ارشده فيها الى التزام الجادة الاسلامية في حكمه .

(١) انظر « مملكة سنغاي في عهد الاسيفيين » تأليف رابح بونار طبعة الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر سنة ١٩٧١ م .

وبعد أن درس بمساجد [ كانو ] مدة ، انتقل الى [ غار ] واتصل  
الأمير اسقيا محمد الكبير . فأكرمه هذا الأخير . وكتب عدة أسئلة . رجاء  
الاجابة عنها طبقا لمبادئ الاسلام .

\*\*\*

وينسب المؤرخون للمغلي أربعة عشر كتابا معظمها فى الفقه، وبعضها  
فى اللغة .

هذا عدا رسائل الافتاء ومكاتبات الاصلاح .

ومن رسائل الافتاء ومكاتبات الاصلاح أجوبته على أسئلة الاسقيا .

\*\*\*

وقد كان المغلي بعلمه الواسع وبعمله الشجاع فى حث الملوك والرؤساء  
على سلوك سبيل الحق ، صاحب شخصية قوية استطاع بها التأثير على  
الناس فى السودان حتى صار اسمه مقرونا لديهم بلقب [ الامام ] .

ولم يكن هذا حاله فى السودان وحده ، بل كان هذا حاله فى المغرب  
قبل مجيئه الى السودان .

لقد كان المغلي من الصراحة والجرأة بحيث شهر بانحراف المسئولين  
فى المغرب عن جادة الصواب ، وأنذرهم عاقبة أمرهم وتنبأ بهجوم البرتغال  
والأسبان على بلادهم ، وقد صدقت نبوءته .

### أهمية الكتاب

تتمثل أهمية هذا الكتاب فى أنه يلقى الضوء على الأوضاع الاجتماعية  
والسياسية والاقتصادية والدينية فى مملكة سنغاي على عهد الأسقيا محمد  
الأول الذى يبدو صريحا وهو يسأل المغلي عن عدد من الأمور التى كانت  
تشغل باله ، ويطلب منه الاجابة عنها على حسب تعاليم الاسلام ، أما المغلي  
فقد رأيناه من خلاله رجل دين واصلاح .

ونحن نذكر به وبآرائه التقدمية الجريئة ابن خلدون وابن نيمية وعن الدين

ابن عبد السلام ، جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده ومحمد اقبال  
وعبد الحميد بن باديس والشيخ حسن البنا والشهيد سيد قطب .

كما رأينا ، عالما واسع الاطلاع طويل الباع فى كل ما يتصل بشئون  
الدين والدنيا وصاحب قلم مطواع يعالج به كل ما يخطر له على بال ، ولو  
خرج فى ذلك عن حدود السؤال .

وإذا كان الكتاب بشقيه [ الأسئلة والأجوبة ] يهتم المؤرخين لأنه الوثيقة  
الوحيدة التى جاءتنا عن عهد الاسيقيين فى سنغاي ، فإنه كذلك يهتم رجال  
العلم والأدب والسياسة والحرب والاقتصاد والاجتماع ، وهو الى ذلك يعطى  
صورة من التبادل الثقافى والفكرى بين المغاربة وجيرانهم السودانين .

وأول خطية على هذا الطريق كانت تلك الفرقة الصغيرة التى دفع بها  
عقبة بن نافع فى اتجاه فزان فوصلت الى تشاد .

وقد بلغ ازدهار الثقافة الاسلامية بالسودان الغربى مرحلة الأوج فى  
القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، وفى هذين القرنين بالذات ، وعلى  
وجه التحديد ما بين سنة ١٥٠٢ . ١٥٠٣ وضع هذا الكتاب بالاشتراك بين  
المغلبى رجل الدين والمصلح الاجتماعى بل عالم الاجتماع ، وبين الأسقيا  
محمد الأول رئيس دولة سنغاي وهو ملك كان يهتم كل الاهتمام باصلاح حال  
رعيتيه وتقويم سلوكها بما يتلاءم وقوانين الاسلام .

وقد صدر الكتاب بتحقيق الأستاذ الفاضل عبد القادر زيايدى عن  
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر المحمية سنة ١٩٧٤ م .

## عرض وتحليل الكتاب :

جاء هذا الكتاب فى سبع مسائل ، فى كل مسألة أكثر من سؤال ، أجل فليست مسأله بسيطة بل مركبة . بمعنى أن كل مسألة مكونة من خيوط كثيرة تكون جديدة كبيرة تسمى مسألة .

وها هى ذى فى دراسة موجزة مركزة . يغنى فيها المشاهد عن الغائب ، والمنظور عن المستور . وعلى من يريد الاستيعاب أن يقرأ الكتاب كله .

### المسألة الأولى

تبدأ المسألة الأولى بل يبدأ الكتاب بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسول الله هكذا :

من عبد الله تعالى محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلى الى الامير الحاج أبى عبد الله محمد بن أبى بكر الملقب بأسكيا .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أما بعد . أعاننا الله واياك على رعاية ودائعه ، وحفظ ما أودعنا من شرائعه ، فانك سألتنى عن مسائل : أولها : - أنك قلت : مذ من الله علينا بالاسلام ، أصابتنا مصيبة فى هذا البلد : لعدم الامانة فيمن ينتسب الى العلم من قراء بلادنا ، ومن صفتهم أنهم لايفقهون من العربية الا قليلا من كلام عرب بلادهم ، على تصحيف وتحريف وعجمة عظيمة بحيث لا يعرفون مقاصد العلماء ولا موضع التصحيف والتحريف ومع ذلك لهم كتب يدرسونها وحكايات وأخبار . ومنهم قضاة ومفسرون يتكلمون فى دين الله ويزعمون أنهم من العلماء الذين هم ورثة الانبياء . وأنه يجب علينا الاقتداء بهم .

وأنا أطلب من الله ثم منك أن تفتى لى بما علمك فى هؤلاء القراء :

هل يجوز لى أن نعمل بقولهم فى دين الله . ويخلصنى تقليدهم عند الله ؟ او لا يحل لى ذلك ، ويجب على البحث عن نوايه الحكم ونقلده فى أمور الدين ؟

وبين لنا صفة من يصلح لذلك شرعا .

تم اطّيب منك أيضا ان نشفي غليلي بترتيب الاجوبة على هذه الاسئلة  
وبزيادة ما تبرز لكم من النصيحة أيضا . ص ٢١ - ٢٢

انتهى السؤال الاول من المسئلة الاولى . ونبادر فنقف منه عند نقطتين  
هامتين للايضاح والشرح .

**النقطة الاولى** أن الاسقيا محمدا أشار بل هرح بأن قسراء بلده  
وفقهاءها من اصل عربى ، وانظر قوله : - [ لا يفقهون من العربية الا قليلا  
من كلام عرب بلادهم ] . وهى اشارة تاريخية ذكية وصائبة ؛ فقد أثبتت  
ابحاث العلماء انه قد حدثت هجرات لجماعات من شبه الجزيرة العربية -  
وبخاصة المنطقة الجنوبية - الى افريقية ولو أن معظم هؤلاء المهاجرين  
كانوا يستقرون فى الشرق من افريقيا ، ولا يصل الى السودان الغربى منهم  
الا القليل ، وقد عوض ذلك أن العلاقات بين المغرب والسودان كانت وثيقة  
وقوية ؛ فقد حصلت هجرات عديدة من بلاد المغرب الى السودان وبالعكس .  
وها هو ذا المغيلى فى السودان مفتيا للملكى ( كانو ) و ( غاو ) ومستشارا  
خاصا لهما .

### النقطة الثانية

ما يبدو من تناقض بين وصف الاسقيا لرجال الدين فى دولته بأنهم  
لا يفقهون من العربية الا قليلا على تصحيح وتحريف وعجمة عظيمة بحيث  
لا يعرفون مقاصد العلماء ، ولا موضع التصحيح والتحريف ، ثم يعطف  
بقوله : - « ومع ذلك لهم كتب يدرسونها ، وحكايات وأخبار ، ومنهم قضاة  
ومفسرون » .

ولا مخرج لنا من هذا التناقض الا بجعل كلمة ( لهم كتب ) بمعنى عندهم  
كتب ، فليس بل لازم ، بل ولا يعقل وهذا حالهم أن تكون من تأليفهم .

والآن : مع جواب المغيلى عن سؤال الاسقيا ، قال بادئا بنصحه : -

اعلم أعاننا الله وإياك أن الملك كله لله ، وما النصر الا من عند الله فكن  
له عبدا بطاعته يكن لك ربا بحفظه واعانته ، انما أنت مملوك لا تملك شيئا ،  
وقد رفعك مولاك على كثير من عبادته لتصلح لهم دينهم ودنياهم ، لا لتكون  
سيدهم ومولاهم ، وأنت فى جميع أمرك راع لا مالك ، وكل راع مسئول عن

رعيتيه ، فانظر لذفسك قبل الفوت فانه لا بد لك من الموت ، قال رسول اللد  
سلى الله عليه وسلم : « ما من امير عشرة الا يؤتى به مغلرلا يوم الفيامة  
حتى يفكه العدل أو يوبقه الجور » . وقال : -

اللهم من ولى من الأمر امتى شيئا فشق عليهم فاشقق عليه ، ومن ولى من  
امر امتى شيئا فرفق بهم فارفق به ، .

اكتب كلام المغيلى وانا مبهور ، وكم أود ان يقرأه علماءنا الأفاضل  
فى شتى المجالات ، وخاصة مجالات الوعظ والارشاد ، وعلى وجه أخص  
من يخطب منهم حتى خطبة الجمعة - وهى خطبة شرعية لها شروط وأركان -  
هى حضرة الملوك والرؤساء أو من هم دون الملوك والرؤساء .

وقرن فى أعماقى كلمات المغيلى الملك سنغاي ، خليفة السودان كله : فهو  
بادئ ذى بدء يصادره ملكا ، ولا يخلى بينه وبين وظيفته الرسمية فى  
الدولة قبل أن يعظه ويذكره ، خشية أن يركب الغرور ، ويعدده الكبير عن  
الناس .

واعيدوا معى قراءة هذه الرقع الارجوانية : « انما أنت مملوك لا تملك  
شيئا ، وقد رفعك مولاك على كثير من عباده ، لتصلح لهم دينهم ودنياهم  
لا لتكون سيدهم ومولاهم أنت فى جميع أمرك راع لا مالك . أنظر لذفسك  
قبل الفوت : فانه لا بد من الموت » .

يا أبنائى الوعاظ ، بل يا أبائى الوعاظ ، احفظوا هذا الكلام ووازنوا  
بينه وبين ما تقولونه فى مثل هذا المقام ، ثم انظروا فى مرايا ضمائرکم .  
ومن فضلکم لا تحكموا على أنفسکم بالاعدام .

والوضعية السلمية للملك أو الرئيس أن يناط به اصلاح دين الناس  
ودنياهم لا أن يكون سيدهم ومولاهم ، أى أن منصبه تكليف لا تشريف .

ويا من تؤمنون بجان جاك روسو ونظرية العقد الاجتماعى .  
ثم يا من تنكرون أن الاسلام دين ودولة .

ثعالوا فانظروا ماذا قال المغيلى منذ ست وسبعين وأربعمائة سنة



ولا يقف المغيلى عندما طلب منه الاجابة عنه ، فما هو ذا يستطرد الى موضوع جديد بقوله : - وكيف يعمل مع أقاربه ؟

قضية عثمان اذن :

وهى قضية مؤكدة ؛ لأنها متجددة وقائمة فى كل زمان ومكان ، وهى شئ طبيعى : فالحاكم - أى حاكم - ليس نباتا شيطانيا ، وانما هو ابن وطنه وأمنه - وقيل ذلك ابن بيته وأسرته . فماذا يعمل مع أقاربه ؛ اجل ماذا يعمل ؟

يجيب المغيلى عن هذا السؤال بقوله : -

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من وال الا وله بطانتان : بطانة تأمره بالمعروف وتنهيه عن المنكر ، وبطانة لا تألوه الا خيالا ، فمن وثى شرهما فقد وثى .

اذا علمت ذلك أيها الامير فعليك باهرين :

**الاول :** أن تبعد عنك أهل الشر ، وأن تقرب منك أهل الخير لأن من الغالب على الانسان التأنس بقريته ، والميل الى طبعه وتزيينه ، فمن قريته من نفسك فقد مكنته من أذنك ، ومن مكنته من أذنك فقد مكنته من قلبك ، لأن الاذن زمام القلب ، ولذلك قال مالك بن أنس : -

لا تمكن زائغ القلب من أذنك ، وقال بعض الحكماء : -

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى

وفى ذلك قلت : -

اذا قرب السلطان أشرار قومه وأعرض عن أختيارهم فهو طالح  
وان قرب السلطان أختيار قومه وأعرض عن أشرارهم فهو صالح  
وكل امرئ ينبك عن قرينه وذلك فى أمر البرية واضح

وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك كله بقوله : -

اذا أراد الله بالامير خيرا جعل له وزير صدق ، ان نسي ذكره ، وان ذكر أعانه ، واذا أراد الله به غير ذلك جعل له وزير سوء ، ان نسي لم يذكره ، وان ذكر لم يعنه .

والثانى : - ان تسأل اهل الذكر عن كل ما لا تعلم حكمه من تصرفاتك كلها لتحكم بما أنزل الله فى كل ما حملك منها ، قال الله تعالى : -

« ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » ، « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » ثم قال تعالى « واسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » .

والذكر هو القرآن ، واهله من اجتدع فيه وصفان : العلم والتقوى ، لأن بالعلم يعرف الرشيد من الغي ، وبالتقوى يأمر بالرشيد وينهى عن الغي .

فلا تقلد فى دينك الا من ثبت أنه عالم تقى ؛ لأن من لم يثبت أنه عالم يخاف أن يضل ويضل بعماه ، ومن لم يثبت أنه تقى يخاف منه أن يضل بهواه ، ألم تر الى قول الله تعالى : - ياأيها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله » .

وبنظرة نقدية نافذة يخربل المغيلى علماء وقته فيقول : -

ان كثيرا من علماء هذه الامة وعبادها يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ، وبسبب هؤلاء العلماء والعباد شاع الفساد فى جميع البلاد ، فالجهاد فيهم وفى أنصارهم أفضل من كل جهاد ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : -

« أنا من غير الدجال أخوف عليكم من الدجال ، فقل ممن يا رسول الله ؟ قال من علماء السوء » .

وعن أبى حذيفة اليمانى رضى الله عنه أنه أخذ حصاة بيضاء فوضعها فى كفه ثم قال : ان الدين قد استضاء استضاءة هذه الحصاة ، تم أخذ كفا من تراب فجعل يدور على الحصاة حتى واراها ثم قال : - والذى نفسى بيده ليجيئن أقوام يدفنون الدين هكذا ( كما دفنت هذه الحصاة ) . ولتسلكن سبيل الذين كانوا من قبلكم حذو القدة بالقدة والنعال بالنعال .

فمن أعظم الواجبات على أمراء المسلمين حفظ الدين بالألا يتركوا احدا يتكلم فى دين الله بتعليم ولا حكم ولا فتوى حتى يكون من أهل العلم والتقوى ، ولذلك لما قدم على بن أبى طالب رضى الله عنه البصرة دخل جامعها فوجد القصاص يفصون ، فأقامهم حتى جاء الى الحسن البصرى رضى الله



عنه فقال : يا فتى • انى ساذك عن نبيء فان انت اجبتنى عند بقيتك ،  
والا اقمك كما اقمك اصحابك •

- وكان قد رأى عليه سميتا وهديا - قال الحسن : سئل عما شئت  
عقال . - ما ساذك الدين ؟ قال : الورع • فقال : وما فسداد الدين ؟ قال :-  
الطمع ، قال اجلس مثلك يتكلم على الناس •

ليس من اعظم الواجبات على كل امير أن يطرد عن طريق الدنيا جميع  
المفسدين ؟ فكيف لا يجب عليه أن يطردهم عن طرق الدين !!؟

وقد ثبت بما لا بدع عجبالا للذئب أن كبراً من ذراء هذه الامة انما هم  
من علماء السوء ، وعلماء السوء انما هم لصسوس الدين ، وأضر على  
المسلمين من جميع المفسدين ، ولذلك قال ابن المبارك رضى الله عنه : -

وهل أفسد الدين الا الملوك وأحبار سوء ورهبانها -

وقال بعض الادياء : -

قضاء زماننا اضحوا نصيرنا عمسوما شى البرية لا خصوصاً  
فلو عند التحية صافحونا لسلاوا من خواتمنا انفصوصاً

واستكمالا للاجابة ووصولاً بها الى بؤرة الشعور من الملك السائل هذا  
الكلام الاستطرادى للمغيبى قال : -

فان قلت : قد بينت وأوضححت أن كثيراً من علماء هذه الأمة ليسوا من  
أهل الذكر ، انما هم من علماء السوء الضالين الذين بأكلون أموال الناس  
بالباطل ويصدون عن سبيل الله ، ولكن كلا منهم يقرأ القرآن والحديث وكثيراً  
من نصوص الكتاب ويزعم أنه من أهل الذكر ، وينكر أنه من علماء السوء ،  
فبأى شىء نفرق بين أهل الذكر وعلماء السوء ؟ وكيف يفعل من ولى شيئاً  
من هذا الامر ، ولم يجد فى بلده أحداً من أهل الذكر ؟

فالجواب والله الموفق للصواب أن الله يجعل لكل هاد من أهل الذكر  
أنواراً فى كل عصر من الأعصار هداية لسهم الجنة وحجة على سهم النار ،

وبيان ذلك أن حكمة الله ألا يعذب قوماً حتى يبين لهم ما يتقون وتلك

سنة الله في الأولين والآخرين . لثلايقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين .

ومن حكمته كذلك أن جعل ذلك البيان على لسان البشر من الانبياء في الأولين ومن أهل الذكر في الآخرين ، لأن الله جعلهم للهداية واقامة الحجة في هذه الأمة كالانبياء في الامم الماضية ، ولذلك روى أن في رأس كل قرن يرسل الله للناس عالما يجدد لهم دينهم .

ولهذا العالم علامات متى نبيناها فيه تعين أنه من الصالحين ، أما علماء السوء فمن أبين علاماتهم أنهم لا يصلحون ولا يتركون من يصلح ، فمثلهم كمثل الصخرة في باب النهر ، لا تشرب ولا تترك من يشرب .

وبعد كلام طويل من هذا القبيل يحس المغيلى - كما احسسنا - أنه غير راضح ، وبناء عليه غير مقنع ، وهو لهذا يعود فيبدأ من حيث انتهى ويقول على سبيل القطع : -

وان لم تفهم ما قررناه واشكل عليك شيء مما ذكرناه ، فاعلم أن القراء كلهم ثلاثة أنواع : -

الاول من تبين لك بلا شك أنه عالم تقى .

الثانى من تبين لك بلا شك أنه ليس بعالم أو أنه ليس بتقى .

الثالث من شككت فيه .

فمن تبين لك أنه عالم تقى فهو من أهمل الناكر فاسأله عن دينك وقلده . ومن تبين لك أنه ليس بعالم وأنه ليس بتقى ، فليس هو من أهل الذكر فلا تقلده في شيء من دينك ولا تسأله عنه .

ومن لم يتبين لك حاله فلم تعلم : هل هو عالم تقى أو لا ، فقف عنه أيضا ، ولا تقلده في شيء من دينك ولا تسأله ولو كان فصيحاً عربياً يحفظ ما في جميع الكتب حتى يتبين لك بلا شك أنه عالم تقى .

إذا علمت ذلك لم يلتبس عليك أمر القراء في هذا الزمان ووجب عليك أن تطلب عالماً من أهل الذكر .

ثم اعلم أن تأخيرك النظر فى الامور حتى تستفتى من بعد عنك من أهل الذكر تضييع لكثير من الامور التى تعين عليك اصلاحها عاجلا ، فبإسار بالنظر فى جميع الامور التى تعين عليك اصلاحها عاجلا ، واعلم أن الامور كلها ثلاثة انواع : -

فكل امر علمت أنه مما امر الله به فافعله، فإنه خير ولا يأتى منه الا الخير وكل امر علمت ان الله نهى عنه فاتركه ، فإنه شر ولا يأتى عنه الا الشر .

وهذان النوعان كثير ، فاذا شغلت باصلاحهما ونصحت فيهما كثر خيرك قولاً وفعلاً ، وملاّت بلادك قسطاً وعدلاً .

وكل أمر شككت فى حكمه ، وخفت من اثمه فعليك فيه بالاحتياط الصارف عن الشبهات ، فان الجنة حفت بالمكاره وحفت النار بالشهوات . فاقطع الشك باليقين ؛ واحتط لمدينك أكثر ما تحتاط لدنياك فى كل حين .

والمغيبى هنا يضع الموازين للملك . ليزن بها الرجال والاعمال ، ويزوده بما يلزمه فى مجابهة الامور التى تستجد حتى لا ينتظر الفتوى من أناس قد يبعدون عنه ، وهو ينطلق فى هذا من اعتبارين : -

الاول : ان على الانسان أن يجتهد .

الثانى : أن على الانسان ألا يتردد فى اختيار ما يراه مناسباً حرصاً على البت السريع وبخاصة فى الاحوال التى يكون القانى فيها مضيعة للوقت .

وتمكيناً لعوامل الفساد من الانتشار فى الارض .

ولم يتقو المغيبى بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من اجتهد فأصاب فله أجران ومن اجتهد فأخطأ فله أجر » ، لم يتقو المغيبى بهذا الحديث الشريف ، لأنه أراد لكلامه أن يكون عقلياً أكثر منه نقلياً ، ولعل هذا هو السر فى أنه ساق كثيراً من الأمثلة التى تثبت أن درء المفسد مقدم على جلب المصالح .

ولا بأس على الامام اذا تحرك من هذا المنطلق ، لأنه اذا كان جلب المصلحة واجباً ، فإنه واجب على التراخى . أما درء المضره فهو - مع أنه واجب - واجب على الفور .

### المسألة الثانية

تدور هذه المسألة حول أمور كثيرة منها معتقد سنى على وسلوكه ، فقد كانت أمه من أهل بلاد فار وهم قوم كفار يعبدون الأصنام من الأحجار والأشجار ، يتصدقون لها ويطلبون حوائجهم عندها ، فان أصابوا خيرا زعموا أن تلك الأصنام هي التي أعطتهم ، وان لم يصيبوا رأوا أنها منعتهم .

وكان سنى على من صغره الى كبره كثير الاقامة عندهم فجرى على معتقدهم وتطبع بطباعهم ، أجل انه كان ينطق بالشهادتين ويتكلم بالفاظ المسلمين مع عدم معرفته بحقيقة ما ينطق به ، انما يقول ذلك بلسانه ، وربما سمع اسم النبي فقال : صلى الله عليه وسلم ، ومع ذلك يعبد الأصنام ويصدق الكهان ويستعين بالسحرة ونحوهم .

ومن صفته أنه مارؤى فى جامع ولامسجد يوم الجمعة ولاغيره ، وفى دائرته ودياره الوف من الرجال والنساء لا يستطيع أحد منهم ان يصلى صلاة ولا ان يصوم يوما من رمضان خوفا منه أن يعاقبه على ذلك ، وأما هو فى نفسه فلم يكن يحفظ الفاتحة ولا غيرها ولا يصلى صلاة مكتوبة فى وقتها ولايقوم ويركع ويسجد فيها ، انما يترك الصلوات الخمس الى آخر الليل أو الى ضحى الغد ثم يجلس ويومئ الى السجود من جلوسه وهو صحيح قوى لاعلة به ، ولايقراً فى صلاته تلك شيئاً ، انما يذكر اسم صلاته فيقول بدلا من ركوع المغرب : المغرب ، وبدلا من سجودها : المغرب ، وكذلك فى سائر الصلوات . ومن صفته كذلك أنه لا يتوقف فى النساء على نكاح ولاغيره من الشروط الاسلامية ، بل كلما أعجبتة امرأة فى جميع مملكته أخذها وأدخلها فى بيته وفرأشه ولا يبالى بزوجها ولا أحد ، ويجمعها مع أمها فيلذذ بهما معا .

وأنه حلل دماء المسلمين وأمرألهم فقتل من القراء والفقهاء والنساء والصبيان والرضع وغيرهم ، وأفسد منهم مثل الذكر والأنثيين وقطف الأنف واليدين ونهب من الأموال وسبى من الحرير وباع من الأحرار ما لا يحصى ، وفساده فى الأرض بذلك ونحوه مشهور ولم يسمع قط بمثله فى الاسلام ، ولم يزل على ذلك مدة عمره حتى مات [ من ٣٤ - ٣٨ ]

هذا الواقع البشع لسنى على قد يكون أمرا مبالغا فيه من الأسقيا تبريرا لثورته عليه وخلعه له .

لكن يبقى أن لهذا الوضع السيء أصلا يرجع إليه وتاريخا يثبت صدقه ، فقد كانت أمور المسلمين في السودان الغربي قريبة مما ذكر الأسقيافي سؤاله الموجه منه إلى المغيلي :

دخل الناس في الإسلام واعتنقوه مع الاحتفاظ بعباداتهم الوثنية ، والبقاء على سلوكهم القديم ، أي أن إسلامهم كان سطحيا لا عمق فيه ولا لب له لأنه لم تنفر من كل طائفة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين وليندروا فومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون .

وسنى على واحد من شعبه بل أكثر من ذلك كانت أمه وثنية وكذلك كان إخواله، وقد نشأ فيهم تربي بين أحضانهم ، فلا عجب أن كان إسلامه مشوبا بهذه المظاهر الوثنية التي كانت جذورها فيه أمكن من جذور الشعائر الإسلامية .

وننتقل إلى اجابة المغيلي لتري بماذا رد ؟

قال : - الجواب والله الموفق للصواب أن سنى على وجميع أعوانه وأتباعه وأنصاره ، لاشك أنهم من أظلم الظالمين الفاسقين الذين يقطعون ما أمر الله به أن يوصل ، ويفسدون في الأرض . وجهاد الأمير فيهم وأخذه السلطنة منهم أفضل الجهاد وأهمه .

وأما قولك هل هم كفار أم لا ؟ فلا يكفر أحد بذنب من أهل القبلة ، إنما يكون التكفير بأحد أمور ثلاثة .  
الأول : أن يكون نفس اعتقاده كفرا كإنكار الصانع أو صفة من صفاته التي لا يكون صانعا إلا بها ، أو جحد النبوة .

الثاني : صدور ما لا يقع إلا من كافر وإن لم يكن في نفسه مثل استحلال شرب الخمر ، وغصب الأموال وترك فرائض الدين والقتل والزنى وعبادة الأوثان والاستخفاف بالرسول وحجد شيء من القرآن .

فهذان الأمران الاجماع على من ثبت عليه واحد منهما حكمنا بكفره  
الثالث : أن يقول قولا يعلم أنه لا يصدق إلا من لا يعلم الله تعالى ، وإن كان قائله يزعم أنه يعرف الله .  
وهذا مختلف فيه بين العلماء ، هل يكفر به أو لا . وعليه اختلفوا في تكفير المعتزلة ونحوهم من أهل البدع .

وإذا علمتم ذلك تبين لكم أن الذي ذكرتموه من حال سني علي علم  
على الكفر بلا شك ،

فإن كان الأمر كما ذكرتم فهو كافر ، وكذلك كل من عمل بمثل عمله ،  
بل يجب التكفير بما هو أقل من ذلك •

وأما استرقاق أولادهم فلاأراه وان ثبت عليهم موجب الحكم بالتكفير،  
لأن الكفار ثلاثة أصناف •

**الأول :** من هو كافر صريح بالأصالة كالمجوس ونحوهم ممن ورث الكفر  
الصريح عن آبائه •

**الثاني :** من كان منسلسا ثم ارتد ارتدادا ظاهرا فصرح أنه خرج عن دين  
الاسلام ودخل غيره من أديان الكفر •

**الثالث :** من يزعم أنه مسلم وحكمنا بكفره ، لأنه صدر منه ما لايقع في الظاهر  
الا من كافر كما ذكرتم في سني علي •

فالكفار بأصالة الكفر تسبى ذراريهم ونسأؤهم وتقسم أموالهم لاخلاف  
في ذلك بين العلماء •

وفي الكفار بالارتداد خلاف : قال ابن القاسم في أهل حصن من  
المسلمين ارتدوا عن دين الاسلام الى الكفر : لاتسبى ذراريهم ونسأؤهم ،  
وأما أموالهم فهي فيء للمسلمين •

قال ابن رشد : وهذا هو الصحيح من جهة النظر ، لأن المرتدين أحرار  
من أصلهم قال : والى مذهب ابن القاسم في المرتدين ذهب عامة العلماء  
وأئمة السلف •

وإذا علمتم ذلك فكل من فعل شيئا من تلك الأفعال الموجبة للتكفير  
يستتاب فإن تاب ترك ، وان لم يتب قتل بالسيف كفرا ، ولا تسترق أولادهم  
انما يجبرون على الاسلام [ ص ٣٩ - ٤٠ ]

والغيلي في افتائه وأرائه مرتبط بالدين ومعتصم بحبله المتين ، فهو  
قد أجاب اجابة موضوعية غير متأثر بالحملة العدائية القوية من جانب

الأسقيا ضد سلفه سنى على ، لم يلف ولم ينافق بلم لم يتكلم كلاما موجهها .

العهد على الراوى فيما أفتى به المغيلى ، والراوى هنا هو الأسقيا نفسه ، فان كان صادقا فله صدقه ، وان كان كاذبا فعليه كذبه ، أما المغيلى فهو على الحياد تماما . لا انحياز منه الا الى الله ولا ولاء لرأية سوى راية الاسلام ،

ولنفراً معا قوله السليم الحكيم : « واذا علمتم ذلك تبين لكم ان الذى ذكرتموه من حال سنى على علم على الكفر بلا شك ، فان كان الأمر كما ذكرتم فهو كافر . وكذلك كل من عمل بمثل عمله » .

ونقف مما قرأناه عند قوله : « تبين لكم أن الذى ذكرتموه من حال سنى على علم مع الكفر » انه هنا قد ألصق الدعوى بمدعيها وقرنها به بل اكثر من ذلك ألبسها له ، أما هو فلا شأن له بصسديق أو كذب ما قاله الأسقيا عن خصمه ،

وما أعجب خبر [ أن ] فى العبارة السابقة وهو [ علم على الكفر ] أى علامة عليه .

يريد أن يفرض : أن الكفر هو ما ذكرتموه من أعمال وأقوال نسبتموها الى سنى على . لم يحكم صراحة بكفر سنى على ، كل ما هناك أن ما ذكره الأسقيا سبب للكفر بل أكثر من ذلك هو اسم له وعلم عليه .

وانظروا الى هذا التشكيك الصارخ فى كلام الأسقيا : [ فان كان الأمر كما ذكرتم فهو كافر . وكذلك كل من عمل بمثل عمله ] .

ان الجواب هنا متوقف على الشرط ، والمحمول قائم على الموضوع ، وليس هذا افتاء فى شأن سنى على وحده ، بل انه افتاء فى قضية عامة ، وهى تمس كل من مارس الأعمال السابقة .

ولا يسعنا هنا الا أن ننوه بشجاعة المغيلى وجراته .

### المسألة الثالثة

هذه المسألة تدور في فلك المسألة السابقة وتجري في محيطها ، لأنها من قبيلها ، ولي عمل الأسقيا ذكاءه لاستغنى في موضوعاتها عن افتاء المغيلي :

فهو يقول في مسألته هذه : اننى ملكت البلاد بعد سننى على وكان قد جمع أموالا وخداما من وجود شتى . وحيث فاستوليت على ذلك كله ، ثم تركت كل مال من ادعى أنه حر مسلم ، ولما تحريت علمت أنهم يشهدون ويقولون : لا اله الا الله محمد رسول الله ، لكنهم يعتقدون مع ذلك أن هناك ما ينفعهم ويضرهم غير الله جل وعلا :

لهم أصنام يعظمونها وينبجون لها ولا يقطعون أمرا صغيرا أو كبيرا إلا بأمر سدنتها ، وقد زجرتهم عن ذلك كله فأبوا الا السيف .

فما الذى أفعل بهم ؟

هذا هو سؤال الأسقيا ملخصا .

وقد رد المغيلي عليه بقوله :

الجواب والله الموفق للصواب أن الملك كله لله ، والحكم لله من قبل ومن بعد ، فاشكر نعمة الله عليك واتقه فيما رلاك وقلدك من أمور ، واعلم أن سننى على حمل حملته على عنقه واكتسب في حملته حتى انقضى أجله فترك ذلك الحكم بينكم ، فحملته أنت ، فاكتسب لنفسك في حملته ما ترجى لك بركته ، وتحمد لك عاقبته في الدنيا والآخرة ، ولا تقل في باطل قدرت اليوم على ازالته : هذا لا يلزمنى ؛ لأنى ما فعلته ، انما فعله غيرى ، فكل ما فعله غيرك ثم صار اليك ، ان كان خيرا فثبتته ، وان كان شرا فأزله ولو طال زمانه ؛ لأن الملك والحكم لله وأنت واجب عليك أن تصلح كل ما وصل اليك ، ولأجل هذا كان فعلك في اطلاق من ادعى أنه حر مسلم صوابا ، وكذلك كل مال تعين لمسلم معين ، واجب عليك رده .

وأما القوم الذين ، صفت أحوالهم فهم مشركون بلا شك لأن التكفير في ظاهر الحكم يكون بأقل من ذلك كما بيناه في السؤال الذى قبل هذا ، فلا شك أن الجهاد فيهم أولى وأفضل من الكفـسار الذين لا يقولون : لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأن هؤلاء الذين ذكرت لبدوا



الحق بالباطل بحيث يضل بهم كثير من جهنة المسلمين حتى يشمر وهمسو  
لا يشعر ص ٤٣ - ٤٦ .

انتهت اجابته النيلية ، وهي اجابة صائبة من وجهة نظر الدين وعن  
وجهة نظر الدولة ، لان الحاكم المسلم في دولة دينها الرسمي هو الاسلام  
يجب عليه ان يستيب هؤلاء الذين يعتنقون المظاهر الوثنية ويؤلهون  
غير الله سبحانه وتعالى . المسكوت على ذلك تصدير نى متى الدين وعى  
حق الدولة .

ومن هذا الموقع المزوج أفتى الغيلى بجهادهم وقتل رجالهم وسبى  
نساءهم وذراريهم وضم أموالهم الى بيت المسلمين .

#### المسألة الرابعة

وهي مكونة من ستة أسئلة . والسؤال الرابع فيه نوع من استعراض  
العضلات من جانب الأسقيا ، وليس معنى هذا أن مضمونه كذب فهو معقول  
وامكان وقوعه قائم ، وما الظن باسم عادل يتسامع الناس به فى الشبهات  
والجنوب ، وفى المشرق والمغرب ؟

انهم بلا شك سيدتدافعون نحوه وسيهرولون اليه طالبين أن يكون لهم  
شرف الولا له . والدخول فى طاعته ، وبالتأكد ذلك اذا كان سلاطينهم ظالمة  
لا يرعون فى الله الا ولا نمة .

وهذا هو السؤال الرابع عطف به على أسئلته السابقة فقال : -

وأيضا بعض المسلمين فى شرقنا وغربنا سمعوا بي وطلبوا أن يدخلوا  
تحت طاعتي ، فهل أجيبهم الى ذلك ؟ أو نقف على حكم بلادنا التى أورثنا  
الله عن سنى على ؟

ويظهر أن الناس فى السودان قد أنسوا خيرا فى الأسقيا محمد بعد  
أن أحاط نفسه بطبقة العلماء من قراء وفقهاء وبعد أن نهض بمملكته فخرج  
بها من طور القبيلة الى طور الدولة .

وهذا فضلا عما اشتهر به فى مملكته بل وفى خارج مملكته من تقى

وورع ومن التزام باقامة العدل ودفن الجور ، فلا عجب أن يتهافتوا عليه ،  
وأن تهفو نفوسهم الى الدخول في حكمه .

\*\*\*

لكن بماذا رد المغيلى على هذا التطلع الى المجد ؟ وعلى هذا الاحساس  
المسرف بالذات ؟

أنظر ها هو ذا يقلم أظفار الأسقيا ، وبعبارة أدق : ها هو ذا يقلم  
أظفار الكبر فيه ويرده الى جادة التواضع ، والى عدم الانسياق وراء وهم  
كاذب أو برق خادع .

فقد يكون وفد هذه الامة من الحاقدين على حاكمهم أو من الظلمة  
الذين لا يعجبهم أن يعاقبوا بظلمهم وأن يسرى بينهم وبين غيرهم .

ولهذا اجنوا سياسيا الى دولة الاسقيا وحرضوه على غزو بلادهم  
نكاية فى حكامهم ، ونسيانا أو تناسيا لوطنيتهم التى كانت كفيلا بردهم  
وبضبط سلوكهم فلا يخرجون على قواعد اللجوء السياسى .

وأبسط هذه القواعد انما هو عدم اشتغال اللاجىء السياسى  
بالسياسة .

\*\*\*

قال المغيلى : -

الجواب والله الموفق للصواب أن الأرض كلها لله يورثها من يشاء من  
عباده والعاقبة للمتقين ، والتقوى مخالفة الهوى ، فاحكم بين الناس بالحق  
ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله .

ثم اعلم أن البلاد ثلاثة : -

الأول : بلاد سائبة ليس لهم أمير بل مهملون .

فهؤلاء أحبهم الى مبايعتك والدخول تحت طاعتك ؛ لأنه لا يحل لطائفة

من المسلمين ان يكونوا هملا قال تعالى « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » .

وفى صحيح مسلم عن ابن عمر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : - « من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له ، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية » .

**الثاني :** - بلاد لهم أمير يراهم في مصالح دينهم ودنياهم بحسب الامكان في هذا الزمان . وهؤلاء لا يحل لأحد منهم أن ينزع يدا من طاعته ، ولا يحل لأحد أن ينازعه في رعيته « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم »

وفى صحيح مسلم عن أبي سعيد قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا بويح الخليفتان فاقتلوا الاخير منهما ، لا خير فيه .

**الثالث :** بلاد لهم أمير من هؤلاء الأمراء الذين وصفت : يأخذ المكس بالظلم وبالفساد وعدم الاصلاح ، فان استطعت أن تزيل ظلمه عن المسلمين من غير مضرة عليهم حتى تقيم أميرا عادلا فافعل ، وان أدى ذلك الى القتال وقتل كثير من أعوانك ؛ لأن من قتل منهم شر قتيل ، ومن قتل منكم خير شهيد ص ٤٧ - ٥١ .

\*\*\*

والمغلي بهذا الرد الجامع المانع قد كذف من غرب الاسقيا وحد من طموحه غير المشرع .

#### المسألة الخامسة

هذه المسألة تعالج شئون المال والاقتصاد أصلا ، وشئون السياسة والاجتماع تبعا ، فهي تدور حول ركن هام من أركان الاسلام هو الزكاة . وقد بدأها المغلي هكذا : -

**قولكم :** وقد جعل الله هذه البلاد تحت يدي برها وبحرها ولم يعرفوا قبلي الا الظلم والاهمال ، ولم يسمعوا قط من يناديهم لله ورسوله ، فأجاب من أجاب بخوف السيف والحمد لله ، وله مزارع كثيرة وبحر واسع كثير خيره فهل لي أن أعمل خراجا على أرضهم أم لا ؟

وأيضاً : هل يجوز لى أن أنصب عالماً أميناً يجمع زكاة النعم ، الحرث ويفرقها على مستحقيها من الاصناف الثمانية باجتهاده ام لا ؟

وان جاز لى نصبه ، فهل لى أن اعاقب من أبى أن يؤديها ؟  
وان جازت لى عقوبته فما هى ؟  
وهل تجوز شهادة السلطان الذى لا يمكس ، ولا حفظ عليه ظلم فى هذا الزمان أم لا تحوز شهادته .

\*\*\*

وواضح أن المراد بالسلطان فى كلام الاسقيا انما هو ( المختار ) بلغة الشام و ( العمدة ) بلغة مصر . فقد كان لكل منطقة أو لكل قبيلة بالسودان كبير أو شيخ فى هيئة سلطان .

وتتردد مؤهلاته لذلك بين أن تكون كثرة المال أو كثرة الرجال أو شيئاً من الفضائل الذاتية كسعة الصدر ورجاحة العقل وقوة الاحساس بمتاعب الناس ، ومن هنا سعيه الدائب فى محوها أو على الاقل تخفيفها .

ونمضى الى جراب المغيلى فنجده يقرر أن للاسقيا بصفته اماماً عادلاً أن ينصب عاملاً أو عمالاً لجمع الزكاة وصرفها فى مصارفها التى ذكرها الله تعالى ، لكن ليس له أن ينقل زكاة بلد الى غيره الا على وجه النظر بالأصلح فيفرق فى أهل بلدها ما اضطروا اليه ، وينقل لغيرهم ما اضطروا اليه .

وبعد أن ينصحه بالاستغناء بالحلال عن الحرام ، يمتدحه بأذنه فارس ميدانه وأوحد زمانه . ها هو ذا يقول له : ...

وإذا كان أمرك الى الآن ما يستقر ، ولا ثبت على العدل ، فاصبر عن ذلك لأنك فى هذا الذى استقبلته وشرعت فيه غريب فى هذا الزمان  
ص ٥٤ - ٥٥ .

\*\*\*

والخلزية التى تقبع وراء هذا الثناء أن المغيلى كان قد نqm على الحكام فى تلمسان حكمهم الظالم لشعوبهم وتقاعسهم عن رعاية شؤن رعيتهم واتخاذهم اليهود بطانة لهم يفضلونهم على بنى دينهم .

وليس هذا فقط ، بل انه كان يرى في كثير من حكام بلاد الاسلام بعدا عن العدل وقربا من الجور ، ولهذا اعتبر الاسقيا محمدا الاول غريبا في زمانه بعد له في حكمه ، وبمحصارلته - قدر طاقته - تطبيق الشريعة الاسلامية في سائر مملكته .

\*\*\*

ويمضى المغيلى في تجليه الدينى واصلاحه الديوى فيضع الحاكم وجها لوجه أمام مسئولياته الحضارية والعمرائية بقوله : -

« واذا كان الامام ينظر للمسلمين بالتقوى لا بالهوى ، واضطر لدرء مفسدة أو جلب مصلحة ، بامر لا يخالف الشريعة فليفعله ، لأن المطالب من الامام ونحوه درء المفسد وجلب المصالح بحسب الامكان في كل زمان ومكان ، فلكل شيء وجه وليس الخبر كالعيان ، ولذلك قال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه : تحدث للناس اقضية بعدد ما أحدثوا من فجور .

وإذا علمت ذلك ينبغى لك أن تجعل للخراج على تلك البلاد ما فيه مصلحة المسلمين وعمارة الارض من غير تضيق .

وينتقل الى مسألة حيوية وعلى درجة قصوى من الاهمية وهى مسألة المرافق العامة بقوله : -

« ولا يحل لك أن تجعل ذلك ( الخراج ) على المناضد العمامة التى فيها الارتفاق العام كالمياه والمرامى والطرق والمنازل المباحة فان الله لم يجعل ذلك لسلطان ولا غيره . وان كانت البلاد قد ذتحت عنوة .

فاترك ذلك كله ، ومن ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه ، وما عند الله خير وأبقى ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المسلمون شركاء فى ثلاثة : فى الماء والكأ والنار » .

\*\*\*

ولا أريد أن أعلق على هذا الكلام بما يثرثر به من يقيمون من أنفسهم سدنة فى معبد الاشتراكية وهم أبعد الناس عنها علما وعملا واللهم اجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

### المسألة السادسة

وهى فى أناس لا يتوارثون على الكتاب والسنة ، وإنما يأخذ مال الميت ابن أخته مثلا .

والاسقيا يسأل : هل تؤول هذه الاموال لببيت المسال ، أو تترك بأيدي من حازوها ، ويجبرون على التوارث فيها وفى غيرها على شريعة الاسلام ؟

والباحثون يقررون أن البشرية فى فجر حياتها كانت تربط قضايا الارث والاستخلاف بالأم ؛ فالأم هى ربة البيت ، وهى التى يعود اليها جميع افراد الأسرة . وقد كان ذلك أكثر وضوحا لما كانت البشرية تمر بالاطوار التى لم ينتظم فيها الزواج ؛ فقد يكن للام عدد من الأزواج فى وقت واحد ، وفى أمثال هذه الاحوال فان الام وحدها هى التى تمثل الاصلة فى انحدار جميع أفراد العائلة من نسلها .

وقد مر المجتمع الافريقى قبل الاسلام بمرحلة ارتباط الارث بالام ، وبعد الاسلام ظلت بعض قبائله على عاداتها السابقة فى مسألة الميراث وهو ما أشار اليه الاسقيا محمد فى صدر هذه المسألة ، وقد تطور ذلك الى أن بعض الناس كانوا يقرون الميراث كما جاء به الاسلام ، ولكن اذا كان فى الورثة كبير استولى على جميع التركة وقال : هذا مال اخوانى وأنا اليوم بمنزلة أبيهم فيعطى الزوجة ونحوها نصيبها ويستولى على الباقي حتى اذا مات استولى على تركته الاقربى ؛ أيضا ، ثم تطور ، الى أن صاروا لا يورثون الزوجة ولا غيرها من النساء .

ولما كانت هذه الانظمة أنظمة جاهلية ، فان الاسقيا يسأل : هل هذه الاموال لببيت المال أم لا ؟

كما يسأل عن أناس مسلمين طردهم العدو من بلادهم فدخلوا بلاد قوم آخرين وسكنوا عندهم ، وبعد ذلك جلا العدو الذى طردهم ، وبقيت بلادهم خالية خاوية ، لم يرجعوا لها ، فأخذ بعض الناس يزرعونها وأهلها يقولون : لا تزرعوا فى أرضنا الا بالكراء .

فقالوا لهم : الارض لله ، وقد خرجتم منها وتركتموها معطلة ، وكلهم الآن تحت سلطان واحد عادل ، فهل لهم أن يمنعوا أحدا أم لا ؟

هذه الاسئلة جزء من المسئلة السادسة وليست كلها .

وجوابها : ان القوم الذين من شأنهم انهم لا يتوارثون على الكتساب والسنة انما يرث منهم الخال وابن الأخت وابن الخال ، ان رأوا أن ذلك حلال وجحدوا شرائع ميراث الاسلام ، فهم كفار ، وان لم يجحدوا الميراث وأقروا أنهم عصاة فليؤمروا بالتوبة والرجوع الى فرانس الله فيما يستقبل ، فان أبوا فللسلطان أن يأخذ أموالهم كلها . وان تابوا فأرى ان يترك لهم منها ما يثبت انهم اكتسبوه من الحلال ، وان يقسم معهم ما سواه فيأخذ النصف ويترك النصف .

وأما الذين يستولى منهم الكبير على التركة ويقول : هذا مال اخواني وأنا كأبيهم نحفظ لهم ونربيهم ، فليؤمروا بالتوبة وبأخذ السلطان حقوق ضعفائهم . فيقوم كل بحقه ، والسلطان ينصفه من غريمه .

وأما الذين لا يورثون الزوجة ولا غيرها من النساء ، فهم كالفریق الاول على ذلك التفصيل .

وأما الذين طردهم العدو من أرضهم فتركوا سكنها ، فليس لهم أن يعطلوها ولا أن يأخذوا أجره ممن يزرع في مزارعها ويرعى في مراعيها ، انما لهم أن ينتفعوا بها أو يتركوها لمن ينتفع بها حتى يرجعوا اليها ان شاء الله تعالى ص ٥٧ - ٦١ .

\*\*\*

واذا بدا الاسفيا هنا حريصا على تطبيق قواعد الدين ، فان المغيلى قد حدد له هذه القواعد وجعلها كأنها محسوسة تتلقاها الحواس مثلما يتلقاها العقل بل قبل أن يتلقاها العقل .

وهو فيما يتعلق بالأرض الخالية قد رجع بها الى أصل الخليقة ، فالأرض لمن يزرعها ، لا احتكار ولا اقطاع .

وهؤلاء الذين تركوا بلادهم ثم لم يرجعوا اليها بعد أن زالت أسباب تركهم لها لا يزرعون ولا يتركون غيرهم يزرع ، وهذا - عمليا - تعطيل للأرض واضرار بالاقتصاد .

أما - نظريا - ففساد في الجبلة وأنانية .

### المسألة السابعة

وشى كالأولى في طولها وتذرع مرضوعاتها ، فمن سحر وتنجيم  
وشعوذة الى تطفيف للكيل وغش في الميزان ، ومن اختلاط الرجال بالنساء  
الى عرى خالص للبنات حتى تتزوج ولو كانت بنت القاضي أو السلطان .

يقول المغيلي للاسقى : -

ان كل ما ذكرتموه عن بعض أهل تلك البلاد ضلال عظيم ، فواجب  
على أمير المسلمين وكل من له قدرة من المؤمنين أن يغير تلك المناسك  
ظها .

وشو يشير على الأمير باللجوء الى وظيفة المحاسب بقوله : -  
واما التطفيف فهو حرام بالكتاب والسنة واجماع علماء الأمة ، وواجب  
على أمير المؤمنين ان يجعل أميراً على الاسواق لحفظ الارزاق ، فيصلح  
مرازين كل بلد على نسبة واحدة بتقويم الميزان والوزن وتسوية الصنوج  
حتى لو فرست مائة متقال بالصنوج كلها لا ينقص . ولو جمعتها بتلك  
الصنوج لا تزيد الا ما لا يال به من الزيادة والنقص .

وكذلك يجب اصلاح الكايل كلها كبارها وصغارها حتى تكون ذها  
على نسبة واحدة .

ولابد من عرض الموازين والكايبيل على التغيير في كل - ين ، فمن  
ظهرت عليه الخيانة في شيء من الرزن أو الكايل فمأقيره وأخرجوه من  
اسواق المسلمين .

ثم يدخل في كلام فنى لا يفهمه ولا يهضمه فضلاً عن أن يقوله ويكتبه  
الا المتخصصون المتمرسون بالكيل والميزان في الاسواق الجامعة .

\*\*\*

وعن مسألة الاختلاط والعرى يقول : -  
ومن أعظم المنكرات ما ذكرتم من اختلاط الرجال بالنساء ، وكشف  
العورات ، فواجب على أمير المؤمنين أن يجتهد في منع ذلك كله بما  
استطاع .



ومن الصواب الواجب أن تنقل كل امرأة عن مواضع التهمة ، وأن يجعل الامير أمناء يطوفون بالليل والنهار والطرقات ، فكل من رأوه يتكلم مع أجنبية أو يدخل عندها أو ينظر اليها فليأخذوه وليأتوا به الى المنولى خطة الحسبة ليعنفه ويزجره بما يليق بمثله حسب سوف فعله .

وأما ما ذكرتم من عادة أهل جنى فى أن البكر لا تستر عورتها حتى تتزوج ، فذلك مذكر من أكبر المناكر وأقبح القبائح لم يسمع قط بمثله فى شيء من بلاد المسلمين ، فكيف يزعمون أنهم مسلمون ؟ !!!  
انا لله وانا اليه راجعون .

\*\*\*

بهذا تنتهى هذه المسألة وهى آخر مسألة فى الكتاب .  
وقد ختمه المغيلى بما بدأه به من وعظ الامير ، وتذكيره ثم بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : -  
فاتق الله تعالى وانظر لنفسك قبل الفوت ، فانه لا بد من الموت قال تعالى : - « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه ، ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا » .

وقال تعالى « كل نفس ذائقة الموت ، وانما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز ، وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور » .

صدق الله العظيم ونبيه الكريم ، ونحن على ذلك من الشاهدين ، والصلاة والسلام الايمان الاكملان على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ص ٧٠ .

\*\*\*

أما بعد : -

فانى أدع المجال لكلام المغيلى كى يعمل عمله ويفرط عمله ، وينقل شحنته الثمينة من الفكر والحماس والاخلاص والابداع الفئى الى أذهان ومشاعر مستقبليه .  
وكل ما أرجوه أن يقرأه بعض ذرى النفوذ فى بلاد العرب والاسلام وأن يعوه ويطبقيه .

## كتاب آداب المعلمين

محمد بن سحنون

نحن هذه المرة مع التربية بمفهومها الحديث .

أقول : « بمفهومها الحديث » وأعنيها ؛ فليست التربية الحديثة بضاعة أوروبية فحسب ، أو أمريكية فقط ، وإنما هي الى ذلك ، بل قبل ذلك وبالتأكيد تراث عربي اسلامي ، كان موجودا قبل الاسلام ، ثم نما وترعرع في الاسلام .

وإذا كان قد ازدهر في عصرنا ؛ فلتضافر الجهود في القديم والحديث عليه ، ولاهتمام الناس في الشرق والغرب به .

ومن الطبيعي - ونحن في عصر المد العلمي - أن تنشط التربية وتنهض ، شأنها في ذلك شأن سائر الفروع الاخرى من المعرفة ، كما أن من الطبيعي أن يكون لها رجالها المتخصصون هنا وهناك وهناك ومعظم جامعات العالم الآن ، تضم بين كلياتها كلية خاصة بالتربية .

\*\*\*

ونستطلع الجهود التربوية في مغربنا العربي ، فنجد أنه زاخر بكتب التراث التي كتبت في هذا الموضوع .

ونحن في هذه الحلقة مع كتاب عن أقدم كتب التربية التي ألفها المغاربة وهو كتاب آداب المعلمين ، كما سماه الذين طبعوه ، وآداب المعلمين والمتعلمين ، كما سماه الذين درسوه ، لمؤلفه محمد بن سحنون . وسنعرف بالمؤلف أولا وبالكتاب ثانيا .

أما المؤلف فهو أبو عبد الله محمد بن أبي سعيد عبد السلام بن سعيد ابن حبيب التنوخي .

ولد بالقيروان سنة ٢٠٢ هـ .

وإذا كانت الوسائط في التربية هي البيت والمدرسة والمجتمع ، فإن

الوسط الذي نشأ فيه محمد كان وسطاً مرموقاً ، فأبوه هو فقيه أفريقية  
بلا منازع .

ولما كان محمد وحيداً ، فقد استقطب اهتمام أبيه به وحل هو، بؤرة  
الشعور منه ، وقد كان أبوه بالنسبة إليه أستاذاً ومربياً ووالداً ، وليس  
معنى هذا أنه تولى بنفسه كل شئون تعليمه . فقد أحضر له المعلمين وزودهم  
بنصائحه التي فصلها على ابنه من وجهة نظره ها هو ذا يقول لواحد  
منهم : -

لا تؤدبه الا بالمدح ولطيف الكلام ، فليس ممن يؤدب بالضرب  
والتعنيف . واني أرجو أن يكون نسيج وحده وفريد زمانه ، وقد جاء محمد  
كما تمنى أبوه نسيج وحده وفريد زمانه ، ولا عجب ، فهو بعد أن أخذ  
حظه من القرآن والعلوم الضرورية ، تحول الى مجالس الدروس العالية ،  
فاخذ عن والده . وكان يناظره قال القاضي عياض : -

كان محمد يناظر أباه وكان يشرح بعض كتبه في حياته ، يفعل ذلك  
قبل مجيء أبيه الى مجلس العلم ، فإذا جاء أبوه قعد مع الناس يسمع  
معهم .

وأيضاً أخذ عن الاستاذ الراويه موسى بن معاوية النضمدجي ، وعن  
الشيخ عبد الله بن أبي حسان اليحصبي تلميذ مالك بن أنس وعن غيرهما  
من أعلام العقل والنقل في أفريقية .



ولما بلغ سن الثالثة والثلاثين نصحه نيره بالسفر الى المشرق أداء  
لفريضة الحج واستزادة من العلم

ووصل محمد فيمن معه الى مصر فأحتفل به فقهاؤها والتفوا حوله  
في جامع عمرو بن العاص بالفسطاط .

منهم أبو رجاء بن أشهب مضيئه ، والمزني صاحب الامام الشافعي  
فلما انفض المجلس وكان كثير الازدحام سئل المزني : كيف رأيت !!؟

فأجاب : والله ما رأيت أعلم منه ولا أحد ذهنا على حدثته سنه .

وفى يثرب دخل المسجد النبوى الشريف ، فوجد أبا مصعب أحمد ابن أبى بكر الزهرى وهو متكئ لكبر سنه والطلبة يتنازعون لديه فى مسألة من مسائل أمهات الاولاد ، فنبههم محمد الى نكتة غريبة ، فاستوى أبو مصعب وقررها : فزاد محمد خرى ، فالتفت اليه أبو مصعب وسأله : من أى البلاد أنت ؟ قال : من القيروان .

قال أبو مصعب : ينبغى أن تكون أحد الرجلين : اما محمد بن سحنون ، اما محمد بن لبدة بن أخى سحنون ؛ لأن هذا التنكيت لا يخرج الا من آل سحنون ، وعرفه محمد بنفسه ، فقام اليه الزهرى وصافحه وأضافه مدة اقامته بيثرب .

وقد لقي بالمدينة من رواة الحديث وأصحاب مالك غير الزهرى ، يعقوب بن حميد بن كاسب ، ومسلمة بن شبيب التيسابورى وغيرهما .

رجع محمد من رحلته فعكف على التدوين والتأليف ، مما حدث به عن نفسه قوله : - دخل على أبى وأنا أولف كتاب « تحريم المسكر » فقال : يابنى . انك ترد على أهل العراق وهم قوم لطاف الأذهان سلاط الألسنة فأياك ان يسبقك قلمك الى ما تعتذر منه .

[ المدارك لعياض طبعة الرباط ج ٤ ص ٢٠٨ ]

\*\*\*

ولم يشغله عكوفه على التأليف عن التدريس لطبقات من الطلاب فى جامع عقبة وفى منزله ، وزاد اقباله على التدريس بعد وفاة أبيه فى رجب سنة ٢٤٠ هـ ؛ فانه حل محله وجلس للتدريس مكانه ، فطبقت شهرته الآفاق وقصده الطلاب من كل مكان حتى صارت القيروان سحنونية . كما سماها المؤرخون فى ذلك الوقت .

\*\*\*

ولم يكن محمد عالما فحسب ، بل كان الى علمه صاحب مثل عليا ، وعلى جانب كبير من حسن الخلق .

حكى أبو الحسن القابسى أن رجلا كان يشتم محمد بن سحنون وينال

من عرضه ، وربما جاءه فقال له : أجب أن أسارك ، ويشتمة في أذنه  
فيقول له محمد ستراله : جزاك الله خيرا .

وحدث أن أفنقر هذا الرجل ، ولم يجد أمامه أهلا للخير الا محمدا  
فقصده ، ولما ألقاه محمد عنده أقبل عليه وسأله عن حاجته ، فقال الرجل :  
أصلحك الله ، جئتك تاذبا مما كنت أفعل ، فقال محمد :

دع هذا واذكر حاجتك ، فقال : والله تحب عيسى بن مسكين ١٢٣٠ هـ ، فقال  
محمد وأغرم ، ولم يلبث أن كتب له رقعة الى أحد الصيارفة وطلب منه المضي  
اليه ، فأعطاه عشرين دينارا اشترى منها ما يحتاج اليه ، ولما دلف بما معه  
الى داره ، سأله زوجته عن مصدر هذا الخير ، فقال : هذا مما أعطانيه  
الرجل الذي كنت أسبه .

\*\*\*

وقد أثنى عليه معاصروه بما هو أهله :

قال القاضي الورع عيسى بن مسكين : «خير من رأيت محمد بن سحنون  
كان جامعا لخصال من الخير ، منها الورع ومعرفة الأثر وكثرة الايثار  
والتفقد للاخوان » .

وقال أيضا : مارأيت بعد سحنون مثل ابنه .

وقال المؤرخ القيرواني الكبير محمد بن حارث الخشني :

كان محمد بن سحنون في مذهب مالك من الحفاظ المتقدمين ، وفي غيره  
من المذاهب من المناظرين المتصرفين ، وكان كريما في نفسه ، سمحا بما  
في يده ، جواد بماله وجاهه ، وكان يصل من يقصده بالعشرات من  
الدنانير ، وكان يكتب لمن يعنى به الى الكور فيعطى الاموال الجسيمة وهذا  
عنه من تفيض عند أهل القيروان . وكان وجيها في العامة ، مقدما عند  
الملوك ، حسن العناية جيد النظر في الحوادث والملمات

؛ طبقات علماء افريقية ص ١٢٩ طبعة الجزائر سنة ١٣٢٢ هـ [

وذا تصدح محمد بن عبد الحكم بعض كتبه قال : « هذا رجل سبى في  
العلم سبحا » وقد توفي محمد بالبحر سنة ٢٥٦ هـ عن أربع وخمسين

سنة ، وأتى به الى القيروان فخرج معظم أهلها فى جنازته وصلى عليه أمير وقته محمد الثانى بن أحمد الاغلبى ، ودفن بباب نافع على خطوات من ضريح والده وقبراهما هناك من المزارات المشهورة المباركة .

\*\*\*

#### من آثار العلمية : -

- ١ - كتاب الجامع ، وهو أكبر تصانيفه ، جاء فى أكثر من مائة جزء منها عشرون فى السير ، وخمسة وعشرون فى الامثال ، وعشرة أجزاء فى آداب القضاء ، وخمسون فى الفرائض ، وثمانية فى التاريخ ، والباقى فنون أخرى . اى أنه موسوعة كبيرة .
- ٢ - المسند فى الحديث وهو كبير جدا .
- ٣ - تحريم المسكر
- ٤ - الامامة . قال عيسى بن مسكين : لما وصل كتاب الامامة الذى ألفه محمد بن سحنون الى بغداد كتب بالذهب وأهدى الى الخليفة .
- ٥ - مسائل الجهاد فى عشرين جزءا .
- ٦ - تفسير الموطأ فى أربعة أجزاء .
- ٧ - الرد على أهل البدع فى ثلاثة أجزاء
- ٨ - طبقات العلماء . وقد جاء فى سبعة أجزاء
- ٩ - كتاب الاشربة وغريب الحديث فى ثلاثة أجزاء .
- ١٠ - كتاب الايمان والرد على أهل الشرك .
- ١١ - ما يجب على المتناظرين من حسن الادب .
- ١٢ - الحجة على القدرية .
- ١٣ - أحكام القرآن .

\*\*\*

وما ذكرناه الى الآن جزء من كتبه المفقودة .

#### ومن كتبه الموجودة : -

- ١ - أجوبة محمد بن سحنون ، رواية محمد بن سالم القطان عنه .
- ٢ - آداب المعلمين . وقيل المتعلمين ، وقيل آداب المعلمين والمتعلمين ، وهو الأصح ؛ لأنه العنوان المناسب لما جاء فى الكتاب ؛ فهو أجماله أما الكتاب فتفصيله

### وهذا تحليله :

يقع الكتاب فى اثنتين وستين صفحة من القطع المتوسط ، وموضوعاته الرئيسية عشرة هى : -

- ١ - ما جاء فى تعليم القرآن العزيز ص ٧٥ .
- ٢ - ما جاء فى العدل بين الصبيان ص ٨٤ .
- ٣ - باب ما يكره محوه من ذكر الله تعالى ، وما ينبغى أن يفعل من ذلك ص ٨٦ .
- ٤ - ما جاء فى الأدب . وما يجوز من ذلك وما لا يجوز ص ٨٨ .
- ٥ - ما جاء فى الختم ، وما يجب فى ذلك للمعلم ص ٩٤ .
- ٦ - ما جاء فى القضاء فى عطية العيد ص ٩٦ .
- ٧ - ما ينبغى أن يخلى الصبيان فيه ص ٩٧ .
- ٨ - ما يجب على المعلم من لزوم الصبيان ص ٩٨ .
- ٩ - ما جاء فى اجارة المعلم ومتى تجب ؟ ص ١١٩ .
- ١٠ - ما جاء فى اجارة المصحف وكتب الفقه وما شابها ص ١٢٦ .

### \*\*\*

وقبل أن نستعرض هذه الموضوعات نقول : -

ان الطابع السائد عليها هو النقل ، يعطى المؤلف الرأى مدعو ما بنقل من النقول : آية كريمة أو حديث شريف أو رأى لشيخ من شيوخه ، وعلى رأس هؤلاء الشيرخ أبوه ، وقد يناقش أصحاب الآراء فى آرائهم اذا لم تكن مقبولة منه ، بآن تكون مخالفة لرأيه كلية أو جزئية .

لكن لذت .ظرى أنه كثيرا ما يقيس أمرا على أمر ويلحق شبيها يشبيه وربما وازدت هذه الخطة عنده نقوله فأحدثت تعادلية علمية بين النقل والعقل ، وهذه التعادلية ميزه حقيقية عن ميزات المنهج الدقيق الذى ارتضاه ابن سحنون .

فاذا أضفنا اليها ميزة السبق الى موضوعه والريادة فيه ، اجتمعت له ميزتان عظيمتان ، هاتان الميزتان لا تجتمعان الا للرواد فى العلوم والفنون .

ونرد هذا منه الى تبخره الذي ساعدته عليه وراثته السحنونية وبيئته العلمية ومنزلته الفريدة عند أبيه ، ولم ننس بعد أنه صنعه على عينيهِ ، وما زال به حتى جاء نسيج وحده وفريد دهره وحتى قال فيه : ما أشبهه بأشهب .

وقد جاء في كتاب الاجوبة بسند محمد بن سالم القطان وهو من تلاميذ ابن سحنون قال : -

سألت محمدا عن مسائل شتى من العلم ، فأجابني عن جميعها مع اختلاف الآراء فيها ، وقول كل واحد ومذهبه . فقلت له : -

ما أعلمك بأراء أهل العلم !!! وما أحفظك بالخلاف !!! فقال : -  
تا الله ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء على أحد من أهل العلم ممن كان مضى في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي عهد الخلفاء بعده الى عصرنا هذا من لم أعرفه وأعرف قوله بمن خالفه ، وكأني أسمع كل واحد منهم ، وكأنهم يازأني حضور .

ولا نستغرب هذا من محمد برغم ما نحسه في كلامه من احساس بالذات غير مستحب ، وأكد أقول : من غرور .

ومن يدري ؟ فقد تكرر هذه المبالغات من عمل ابن القطان وهو تلميذه ؛ تكبيرا لشيخه بالاصالة ولذفسه بالتبعية .

\*\*\*

والآن الى آداب المعلمين .

وهو بلا مقدمة وبلا تمهيد ، فقد بدأه مؤلفه هكذا : -  
بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

١ - ما جاء في تعليم القرآن العزيز

قال أبو عبد الله محمد بن سحنون : حدثني أبي سحنون عن عبد الله



ابن وهب عن سفيان الثوري عن علقمة بن مرثد عن أبي عبد الرحمن  
السلمي عن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم قال : أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه .

وفى رواية ( خيركم ) بدلا من [ أفضلكم ]

وعن علي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يرفع الله  
بالقرآن أقواما .

وعنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
عليكم بالقرآن ، فإنه ينفي النفاق كما تنفي النار خبث الحديد

وعن أنس بن مالك : - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : -  
ان لله أهليين من الناس . قيل من هم يا رسول الله ؟ قال : هم حملة  
القرآن . هم أهل الله وخاصته .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم : -

من تعلم القرآن في شببيته اختلط القرآن بلحمه ودمه ، ومن تعلمه في  
كبره وهو يتفلسف عنه ويتركه فله أجره مرتين .

وعن ابن مسعود قال : - ثلاث لا بد للناس منهم :  
لا بد للناس من أمير يحكم بينهم ، ولولا ذلك لاكل بعضهم بعضا ،  
ولا بد للناس من شراء المصاحف وبيعها ، ولولا ذلك لقل كتاب الله ، ولا بد  
للناس من معلم يعلم أولادهم ، ويأخذ على ذلك أجرا ، ولولا ذلك لكان  
الناس أميين .

\*\*\*

وقد وصلت بنا هذه النقول الى نقطة حاسمة ، وهي : هل يجوز  
تقاضى أجر على تعليم القرآن ؟ .

كلام ابن عباس واضح في الجواز .  
وعن ابن جريج قال : قلت لعطاء : أأخذ أجرا على تعليم الكتاب ؟  
أعلمت أن أحدا كرهه ؟ قال . لا .

وقال مالك : لا بأس بما يأخذ المعلم على تعليم القرآن ، وان اشترط شيئاً كان حلالاً جائزاً ، ولا بأس بالاشتراط فى ذلك .

ويستظهر مالك فى افتائه هذا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :-

خير ما اتخذتم عليه أجرا كتاب الله ، وما روى من أن سعد بن أبى وقاص كان يعطى الاجارة لمعلم بنيه ، وأيضاً ما روى من أن صفوان ابن سليم وعطاء بن أبى رباح كانا يعلمان القرآن بالاجارة ، ومضى عليه عمل أهل المدينة ، ودل عليه أيضاً حديث : أنكحناكها بما معك من القرآن .



وفى كتاب « جوامع الاختصاص والتبيان فيما يعرض للمعلمين وآباء الصبيان » لأحمد بن أبى جمعة المغراوى المتوفى سنة ٩٢٠ هـ تحقيق وتعليق أحمد جلولى البدوى ورابع بونار طبعة الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر سنة ١٩٧٥ م تحت عنوان [ باب حكم الاجارة على تعليم القرآن ]  
نقرأ هذا الكلام :-

قال الجزولى : أما حكم الاجارة على التعليم والاثابة عليه فاختلف فيه على ثلاثة أقوال :-

أجازهما مالك ، ومنعهما أبو حنيفة ، وثالثها : تجوز الاثابة دون الاجارة .

والفرق بين الاجارة والاثابة : أن الاجارة فيها الاشتراط مع ضرب الأجل . أما الاثابة فهى اىصال النفع من غير شرط ص ٢٧ - ٢٨ .



وإذا كانت النقول السابقة تؤيد وجهة نظر مالك .

فان لأبى حنيفة أدلة تتناقض مع أدلة مالك ، وعليها عول فيما ذهب اليه :

من ذلك قوله تعالى : « قل لا أسألكم عليه أجرا » ، وما روى عن عبادة بن الصامت قال : كنت أعلم القرآن جماعة من أهل الصفة فأعطاني أحدهم قوساً أجاهد بها ، فسألت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال

لى : أتريد أن يطوقك الله تعالى بطوق من النار !!؟  
يقول ابن حبيب : انما كان ذلك أول الاسلام ، والقرآن قليل فى  
صدر الرجال .

ويظهر أن وجه الحق فى هذه المسألة مع مالك وأصحابه ، لأنه اذا كان  
بيع المصحف ثمنا للرق والخط ، فان أجره تعليم القرآن ثمن لشغل بدن  
متولى ذلك .

وعلى رأى مالك أسست الكتب المؤلفة فى تعليم القرآن بل وغير القرآن  
من الفقه واللغة والنحو والادب والتاريخ وغير ذلك من العلوم والفنون .

\*\*\*

## ٢ - ما جاء فى العدل بين الصبيان

وهذا الموضوع تقدمى بمقدار ما هو منطقى .  
روى محمد بن سحنون بسنده عن أنس بن مالك قال : - أيما مؤدب  
ولى ثلاثة صبية من هذه الامة فلم يعلمهم بالسوية ، فقيرهم مع غنيهم ،  
وغنيهم مع فقيرهم حشر يوم القيامة مع الخائنين .

وعن الحسن قال : اذا قوطع المعلم على الاجرة فلم يعدل بينهم  
[ الصبيان ] كتب من الظلمة .

وهذان النقلان نص على ما ينبغى أن يراعيه المعلم وهو يعلم من  
التزام بالعدل فى معاملة تلاميذه ، فلا يفتح عينيه على تلميذ ، ويغضهما  
كلاهما أو واحدة منهما عن آخر .

وهذا الالتزام بالعدل تطبيق للحديث الشريف : كلكم راع وكلكم مسئول  
عن رعيته فالمعلم راع فى تلاميذه ، واذا كان من حقه عليهم أن يطيعوه  
ويحترموه ، فان من حقه عليه أن يسوى بينهم فى رعايتهم وتعليمهم .

أجل ، فالمعلم - أى معلم - يتولى تعليم تلاميذه القرآن والعربية  
وأصول الدين ، كما يتولى تهذيب أخلاقهم بالفضائل والمكارم ، وهو لن  
يحقق ذلك كله أو بعضه ، ولن يصل فيه الى شىء ايجابى ، ما لم يكن  
أخلاقيا فى سلوكه .

ولقد كان أسلافنا يتحرون جهدهم فى اختيار من يعلم أولادهم ، فلا يرتضون لهذه المهمة الخطيرة الا من عرف بحسن خلقه واشتهر بالاستقامة والعدالة مع الخبرة التامة بطرق التدريس والعلم الشامل الكامل بالقرآن وعلومه .

أوصى الصحابى الجليل عتبة بن أبى سفيان معلم أولاده حين سلمهم اليه فقال : يا عبد الصمد . ليكن اصلاحك ليردى اصلاحك لنفسك ؛ فان عيونهم معقودة بعينيك . الحسن عندهم ما صنعت ، والقبيح عندهم ما تركت علمهم كتاب الله ، وروهم حديث رسوله ، وحفظهم الشعر العف ، كن لهم كالطبيب الذى لا يعجل بالدواء قبل معرفة الداء ، واياك أن تتكل على عذر منى ، فقد اتكلت على كفاية منك [ العقد الفريد ج ١ ص ١٩٦ ] .

\*\*\*

### ٣ - باب ما يكره محوه من ذكر الله تعالى وما ينبغى أن يفعل من ذلك

وهذا الباب استقصاء من المؤلف لظاهرة كانت موجودة فى وقته ، وقد تخلخت الآن الا من بعض الكتاتيب فى البوادي والقرى ؛ فقد كان الصغار يكتبون على الألواح الخشبية البيضاء بالحبر الاسود ، أو على الألواح الارتوازية السمرء بالطباشير صلدا أو هشاء ، ثم يحفظون ما يكتبون ، وبعد حفظه وتسميعة يمحونه ، ليكتبوا مكانه ، ويظهر أن بعض الصبية كانوا يستعملون أقلامهم فى هذا المحو ، ولم يقرهم على ذلك محمد بن سحنون ، وإنما أشار بوعاء مملوء بالماء يغمس فيه التلاميذ ألواحهم ، ثم يمحون المكتوب فيها باليد أو بالمنديل .

- ولا بأس من لعق المكتوب باللسان ، وازالته بالثرب .
- ولقد كان ابراهيم التخعى يقول : -
- من المروءة أن يرى المداد فى شفة المرء وثوبه .

ص ٨٦ - ٨٨ .

\*\*\*

### ٤ - ما جاء فى الادب وما يجوز من ذلك وما لا يجوز

يقصد بالادب هنا التأديب ، وهو التهذيب عن طريق الضرب .

روى المؤلف عن سيف بن محمد قال : -  
كنت جالسا عند سعد الخفاف ، فجاءه ابنه يبكي ، فقال : ما يبكيك  
يا بني ؟

قال : ضربني المعلم . قال : أما والله لأحدثنكم اليوم .  
حدثني عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم : -  
شرار أمتي معلمو صبيانهم ، أقلهم رحمة لليتيم وأغلظهم على  
المسكين .

قال محمد بن سحنون : - وانما ذلك لأنه يضربهم اذا غضب وليس  
على منافعهم ، ولا بأس أن يضربهم على منافعهم ، ولكن لا يجوز له أن  
يضرب رأس الصبي ولا وجهه ، كما لا يجوز له أن يمنع من طعامه وشرابه  
اذا أرسل وراءه .

ولا يجاوز بالادب ثلاثا الا أن يأذن الاب في أكثر من ذلك اذا آذى  
ابنه أحدا .

ويؤدبهم على اللعب والبطالة ، وفي هذا الحالة لا يجاوز بالادب  
عشرة . وأما على القرآن فلا يجاوز أدبه ثلاثا ، يتولى هو ذلك بنفسه ،  
ولا يتركه لغيره كعريف أو نحوه .  
وانما وقف عند عشرة في أكثر الادب ؛ لأن عشرة غاية الادب .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يضرب أحدكم أكثر من عشرة  
الا في حد » .

\*\*\*

ويستطرد محمد من أدب المعلم للصبي الى أدب الرجل لزوجته ، والى  
أدب السيد لعبده ، ثم يختم بادرة من درر النبي صلى الله عليه وسلم ، وبآية  
من آيات بلاغته وهدايته ، وذلك قوله عليه السلام : -  
« يؤدب الرجل ولده خير من أن يتصدق » .

ولعل الربط بين تأديب الرجل ابنه وتصدقه غير واضح ؛  
لكن الحديث نوع من المعادل الموضوعي ، فالابن المؤدب صدقة كبيرة  
على المجتمع ، وربما أربت في قيمتها وقدرتها على ملايين الملايين من العملة

### ٥ - ما جاء فى الختم وما يجب فى ذلك للمعلم

جرت العادة بأن الصبى اذا ختم سورة طويلة أو أكثر من القرآن ، ستحق المعلم قبل ولى الامر مبلغا يسمى ختمة .  
وقد كنا فى الكتاب ندفع ونحن مسرورون ختمة لجزء [ عم ] وختمة لجزء [ تبارك ] وختمة لجزء [ قد سمع ] وختمة لربع القرآن ولثلثيه ولنصفه وثلثيه وثلثاثة ارباعه ، أما ختمه كله فكان يعتبر عيدا أو يوم تخرج ، وكان أولياء أمورنا يصدقون على سيدنا بهذه المناسبة العظيمة اغداقا كبيرا .  
كان ذلك عرفا ، والعرف قانون كما نعرف .

\*\*\*

لكن ماذا كان من شأن السلف فى ذلك ؟  
روى أن سحنون قضى بسبعة دنانير فى ختمة البقرة .  
أما ابنه محمد فيقول : - تجب الختمة اذا قاربها الصبى وجساوز الثلثين . ولما سئل عن ختمة النصف قال : لا أرى ذلك يلزم ص ٩٤  
ولم تكن قيمة الختمة محددة ، وانما ذلك على قدر يسر الرجل وعسره .

### ٦ - ما جاء فى عطية العيد

سئل محمد بن سحنون عن عطية العيد ، وهى ما يسمى الآن بالعيدية فقال : لا أعرف ما هى الا أن يتطوعوا بها ، ولا تجوز للمعلم اذا سألها .  
يقول المؤلف : الا أن تكون المسألة منه على وجه المعروف ، أى من قبيل الانسانية ، وعن باب التكافل الاجتماعى فى المناسبات الدينية .

\*\*\*

والربط بين اهداء الصبيان للمعلم ، وبين تخليتهم أى منحهم اجازة العيد ، هذا الربط مكروه شرعا ، لأن الهدية حينئذ تكون سبب التحلية ، وفى ذلك ما فيه من فساد التربية ومن شبهة الرشوة ص ٩٦ .

### ٧ - ما يتبغى أن يخلى الصبيان فيه

يستطرد المؤلف الى ذلك فيقول : انها فى عيد الفطر يوم وأحد ، ولا بأس أن يأذن لهم بثلاثة أيام ، وفى عيد الاضحى ثلاثة أيام ، ولا بأس أن يأذن لهم خمسة أيام .

ولما سئل عن ارسال الصبيان بعضهم فى طلب بعض ، قال : لا ارى  
ذلك يجوز للمعلم الا أن يأذن له آباؤهم ، أو تكون المواضع قريبة لا يشتغل  
الصبى فى ذلك .

وعلى المعلم أن يتعاهد الغائبين بنفسه فى وقت انقلاب الصبيان ،  
ويخبر أولياءهم أنهم لم يجيئوا ص ٩٧ - ٩٨ .

وكما لا يجوز للمعلم ارسال الصبيان بعضهم فى طلب بعض ،  
لا يجوز له أن يرسلهم فى حوائج الخاصة به ص ١٠٩ .

#### ٨ - ما يجب على المعلم من لزوم الصبيان

هذا نجد أن المؤلف يضع المعلم وجها لوجه أمام مسئولياته التربوية ،  
ويطلب تفرغه التام لها ، فهو لا يسمح له بأن يشتغل عن الصبيان ولو  
بالكلام ، الا أن يكون فى وقت لا يعرضهم فيه ، فلا بأس أن يتحدث وهم  
فى ذلك ينظر اليها ويتفقدهم ص ٩٨ .

فى مكان آخر من نفس الموضوع يقول : -

وليلزم المعلم الاجتهاد ، وليتفرغ لهم ، فلا تجوز له الصلاة على الجنائز  
ولا عيادة المرضى الا فيما لا بد منه ممن يلزمه النظر فى أمره ، لأنه أجبر  
لا يدع عمله ص ١٠٠ .

وقد سئل : هل ترى للمعلم أن يكتب لنفسه كتب الفقه ؟ فقال :

أما فى وقت فراغه من الصبيان فلا بأس أن يكتب لنفسه وللناس مثل  
أن يأذن لهم فى الانقلاب ، وأما ما داموا حوله فلا ، أى لا يجوز له ذلك ،  
وكيف يجوز له أن يخرج مما يلزمه النظر فيه الى ما لا يلزمه ؟!! ألا ترى  
أنه لا يجوز له أن يوكل تعليم بعضهم الى بعض ، فكيف يشتغل بغيرهم!!؟

وابن سحنون يحبذ أن يكتب الصبى للناس الكتب والرسائل ، فهذا  
مما يخرجهم أى مما يساعد على تخريجه ويكسبه مهارات مميزة .

وإذا كان المطلوب من المعلم إنما هو اقراء الصبيان القرآن واعرابه والشكل والهجاء والخط الحسن والقراءة الحسنة والتوقيف والترتيل . فان من المرغوب فيه منه أن يعلمهم الحساب والغريب والعربية ، ومن الشعر وكلام العرب ما لا يكون فيه لحن . ولا بأس من أن يعلمهم الخطب اذا أرادوا ، لكن لا يعلمهم ألحان القرآن ؛ لأن مالكاً قال . - لا يجوز أن يقرأ القرآن بالالحن .

وليجعل الكتب من الضحى الى وقت الانقلاب ، ولا بأس أن يملأ بعض التلاميذ على بعض ، لأن ذلك منفعة لهم ، وليتفقد املاءهم ، ولا يجوز له أن ينقلهم من سورة الى سورة حتى يحفظوها باعرابها وكتابتها .

قال سحنون : ويلزمه أن يعلمهم الوضوء والصلاة المفروضة والمسنونة كركعتي الفجر والوتر وصلاة العيدين والاستسقاء والخسوف وصلاة الجنائز والضحى والتهجد .

وقد سئل مالك عن تعليم الصبيان في المسجد فقال : لا أرى ذلك يجوز ؛ لأنهم لا يتحفظون من النجاسة .

ويحبذ سحنون أن تعلم المرأة المرأة ، لأنه لا يرضى عن التعليم المختلط قال : - وأكره للمعلم أن يعلم الجوارى ، ولا يخلطن مع الغلمان ، لأن ذلك فساد لهم .

لكن أياخذ المعلم صبيانهم بقول بعضهم على بعض في الأذى ؟ يجيب سحنون بقوله : - لا أرى هذا الا أن يكونوا صبياناً قد عرفهم بالصدق فيقبل قولهم ويعاقب به . هـ ٩٨ - ١١٨ .

## ٩ - ما جاء في اجارة المعلم

وقد سبق أن استطرنا الى أصل هذه القضية في أول فقرة ، وما هنا ليس الا تفريعات عليها واستطرادات لها .

وسنجد أن ابن سحنون يكثر من القياس واعمال الرأي والفكر قال محمد : وكتب شجرة بن عيسى الى سحنون يسأله عن المعلم يستأجر على



صبيان يعلمهم فيمرض أحد الصبيان ، او يريد أبوه أن يخرج به إلى سفر  
أو غيره فقال : -

إذا استأجر سنة معلومة ، فقد لزم آباءهم الإجارة خرجوا أو  
أقاموا .

قال محمد . مثل الرضاع . إذا استأجر الرجل لولده من يرضعه تم  
مات الأب أو الصبي ، فإن عبد الرحمن روى عن مالك أن الإجارة تنتقض ،  
ويكون ما بقي في مال الصبي أن كان له مال ، ويكسبون ذلك موروثا عن  
الميت ، وإن مات الصبي أخذ الأب باقي الإجارة .

وروى أشهب عن مالك أن تلك العطية نفذت للصبي ، فإن مات الأب  
نانت للصبي ، وإن مات الصبي كان ما بقي موروثا عن الصبي كأنه مال  
له ، وكذلك أجرة المعلم مثل هذا والله أعلم .

قال محمد : وهذا قولى . وهو القياس

ونلاحظ أن محمد بن سحنون يبرز رأيه ويبرره بقوله : ( وهذا هو  
القياس ) .

\*\*\*

وها هي نى الدروس الخصوصية على طريقة المجموعات سبق بها  
ماضينا التعليمى حاضرا وان إختلفت الدوافع اليها فى القديم عنها فى  
الحديث ، فهى فى القديم كانت بسبب قلة المعلمين ، أما فى وقتنا الحاضر  
ندوافعها اقتصادية بحتة .

قال سحنون : وقد سئل بعض علماء الحجاز - منهم ابن دينار  
وغيره - أن يستأجر المعلم لجماعة ، وأن يفرض على كل واحد ما يتوبه ؟  
فقال : يجوز إذا تراضى بذلك الآباء ، لأن هذا ضرورة ، ولا بد للناس  
منه ، وهو أشبه .

\*\*\*

وانظر قارئى العزيز الى التسهيل فى تكميل المعلم الناشئ تعليمه  
مثلما نجده الآن من التحاق خريجي المعلمين بكليات التربية أو نظام الانتساب

بالنسبة لحملة الثانوية بشرط أن يعطى لموظيفته التي يأكل منها عيشه حقها ولا يقصر في أدائها قال : -

- ولا بأس/ أن ينظر في العلم في الاوقات التي يستغنى الصبيان عنه مثل أن يصيروا الى الكتب واملاء بعضهم على بعض .

\*\*\*

وإذا كان قد مر افتراض موت الصبي أو موت أبيه ، فإننا هنا أمام افتراض موت المعلم نفسه ، وبموته تنفسخ الاجارة طبعاً ، وكذلك اذا مات أحد من الصبيان ، لكن قيل ان الاجارة لا تنفسخ ، وأن على المعلم فيما له مقاصة في التعليم ، وعلى أبي الصبي أن يأتي بمن يعلمه المعلم تمام السنة، والا كانت له الاجارة كاملة .

\*\*\*

يورد المؤلف ذلك ثم يقول في غير قليل من تحقيق الذاتية : -

الأول كلام عبد الرحمن وعليه العمل ، وانما ذلك بمنزلة الراحلة بعينها ، اذا هلكت انفسخ الكراء ، ولا يجوز أن يأتي بمثلها ولا يشترط عليه ذلك والله أعلم .

\*\*\*

ونجد نوعاً من المتابعة أو التفتيش على المعلم ، كما نجد نظام الحوافز مطبقاً في قول محمد :

اذا استظهر الصبي القرآن كله ، أكثر في العطية للمعلم مما اذا قرأه نظراً ، واذا لم يتهج الصبي ما يعلى عليه ، ولم يفهم حروف القرآن لم يعط المعلم شيئاً ، وأدب ومنع من التعليم اذا عرف بهذا وظهر تفريطه .

\*\*\*

ولا يظن ظان أن ختم القرآن معناه حفظ الصبي له كما هو معروف في عصرنا ، وانما معناه حسن قراءة الصبي له واقامة لسانه به .

يقول المؤلف : -

تنازع المغيرة وابن دينار ، وكلاهما من علماء الحجاز عن الصبي  
يختم القرآن عند المعلم ، فيقول الاب : انه لا يحفظ ، فقال المغيرة : -  
اذا كان أخذ القرآن كله عنده ، قرأه الصبي كله نظراً في المصحف ، وأقام  
حروفه ، فان أخطأ منه اليسير الذي لا يد منه مثل الحروف ونحوها ، فقد  
وجب للمعلم الختمة ، وهي على الموسع قدره ، وعلى المقتر قدره .

يقول محمد : وهو الذي أحفظ من قول مالك .

وقال ابن دينار : سمعت مالكا يقول : - تجب للمعلم الختمة على  
قدر يسر الرجل . غيره ، يجتهد في ذلك ولي النظر للمسلمين .

وما ذكرناه معناه أن قراءة القرآن - لا استظهاره - كانت هي الشائعة  
في زمن المؤلف .

يقول أبو بكر بن العربي : - ما رأيت بعيني اماماً يحفظ القرآن .

ولا رأيت فقيها يحفظه الا اثنين ، ذلك لتعلموا أن المقصود حدوده  
لا حروفه ، وعلقت القلوب اليوم بالحروف وضيعوا الحدود خلافاً لأمر  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لكنه انفاذ لقدر الله ، وتحقيق لتوعده  
رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبيين لنبوته ، وعضد لمعجزته .

#### ١٠ - اجارة المصحف وكتب الفقه وما شابهها

قال سحنون : قلت لابن القاسم : - رأيت المصحف ، يصح أن  
يستأجر ليقرأ فيه ، فقال : لا بأس به . لان مالكا قال : لا بأس ببيعه ، وانما  
يباع الحبر والورق ، والعمل قال : ولا أرى أن تجوز اجارة كتب الفقه ، لأن  
مالكا كره بيعها ، لأن فيه اختلاف العلماء : قوم يجيزون ما يبطل قوم .

قال محمد : لا أرى بأساً باجارتها وبيعها ، ولا أرى أن تجوز بيع  
كتب الشعر ولا النحو ولا أشباه ذلك ، ولا أن تجوز اجارة من يعلم ذلك ،  
وقال مالك : لا أرى اجارة من يعلم الفقه والشعر .

وروى بعض أهل الاندلس : انه لا بأس بالاجارة على تعليم الفقه  
والفرائض والشعر والنحو . وهو مثل القرآن ، فقال :

كره ذلك مالك وأصحابنا ، وكيف يشبه القرآن ، والقرآن له غاية  
ينتهي اليها وما ذكرت ليس له غاية ينتهي اليها ؛ والفقه والعلم أمر قد  
اختلف فيه ، والقرآن هو الحق الذي لا شك فيه ، والفقه لا يستظهر مثل  
القرآن ، فهو لا يشبهه ، ولا غاية له ولا أمد ينتهي اليه ص ١٢٦ .

\*\*\*

وهذه ضرورة محددة من صور القطاع الخاص أو المدارس الخاصة  
يقول : - وإذا استأجر الرجل معلما على صبيان معلومين جاز للمعلم أن  
يعلم معهم غيرهم ، اذا كان ذلك لا يشغله عن تعليم هؤلاء الذين  
استؤجر لهم .

وإذا استؤجر المعلم على صبيان معلومين سنة ، فعلى أولياء  
الصبيان كراء موضع المعلم .

قال : - ولا بأس بالرجل يستأجر الرجل أن يعلم ولده الخط والهجاء  
وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يفادى بالرجل يعلم الخط .

\*\*\*

انتهى الكتاب .

وقد تخطيت مسألة [ أبا جاد ] التي هي [ أبجد ] لأنها مسألة  
خرافية غير معقولة .

حدث بعضهم عن سبجنون قال : سمعته يقول : لا أرى للمعلم أن  
يعلم [ أبا جاد ] وقد سمعت حفص بن غياث يحدث أن [ أبا جاد ] أسماء  
أسماء الشياطين ألقوها على السنة العرب في الجاهلية فكتبوها .

وينسبون الى ابن عباس قوله : قوم ينظرون في النجوم يكتبون  
[ أبا جاد ] ، أولئك لاخلاق لهم .

وقد عقد السيد محمد المرتضى الزبيدي في كتابه « تاج العروس من  
جواهر القاموس » فصلا طويلاً لكلمة ( بجد ) بين فيه أصل الكلمة وأراء

علماء اللغة فيها ، فمن كلامه فى ذلك قوله : - قيل انها أسماء شياطين ،  
وقيل هى أسماء أولاد سابور ، وقيل غير ذلك .

وقال قطرب : هو [ أبو جاد ] وانما حذفنا واوه وألفه ؛ لأنه وضع  
لدلالة المتعلم ، فكره التطويل والتكرار ، واعادة المثل مرتين فكتبوا [ أبجد ]  
بغير واو ، ولا ألف [تاج العروس مادة بجد ح ٢ ص ٢٩٤ ]

والقول ما قال قطرب ، فان [ أبا جاد ] هى أبجد ، وأبجد هى ألف  
باء الإبجدية العربية . ولعلها اختصار لأبجد هوز حتى كمن  
الى آخر هذه الرموز التى لازلنا نستعملها فى مقدمات الكتب بدلا من  
الارقام حتى لا تختلط أرقام المقدمة بأرقام صفحات الكتاب



#### أما بعد

فهذا الكتاب كان - فى حدود علمنا - أول كتاب يؤلف عن تعليم  
الصبيان ، فلا عجب أن جاء بعده الطوفان ممثلا فى رسالة أبى الحسن  
على بن خلف القابسى المفصلة لاحكام المعلمين والمتعلمين ، والتى حققها  
الدكتور أحمد فؤاد الاهوانى وطبعتها دار المعارف بمصر .

وفى القرن الخامس الهجرى نجد أبا بكر محمد بن عبد الله المعروف  
بابن العربى المعافرى المتوفى سنة ٥٤٦ هـ ، وله آراء سديدة وطريفه فى  
التربية والتعليم .

ثم جاء الشوشاوى حوالى القرن السابع الهجرى ، وألف كتابا نفيسا  
كان مصدرا أساسيا فى التربية والتعليم لمن جاء بعده من المعلمين والمربين .

كما جاء أحمد بن أبى جمعة المغراوى المتوفى سنة ٩٢٠ هـ ١٥١٤ م  
وألف كتابه [ جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض للمعلمين وأباء  
الصبيان ] وفى سنة ٩٥٧ هـ ألف ابن حجر الهيئى المتوفى سنة ٩٧٤ هـ  
١٥٦٧ م أكمل وأشمل كتاب فى هذا الباب وهو [ تحديد المقال فى آداب  
وأحكام وفوائد يحتاج اليها مؤدبو الاطفال ] .

وقد حققه أخيراً الدكتور سليمان اسحاق الاستاذ بكلية التربية جامعة المنيا وأثبت به سبق الهيئتي الى كثير من نظريات التربية الحديثة في أمريكا وأوربا .

\*\*\*

والخلاصة أنه يمكن القول بأن هذه الكتب قد تضافرت على إعطاء صورة حية لطرق ونظم التعليم وقت تأليفها ، ومن هنا كانت أهميتها مهما كانت بساطتها ودرجة بداهتها ، وليس حتماً أن تكون مشابهة أو مطابقة لنظمنا العصرية ، فلكل عصر نظمه ، ولكل زمان ومكان تقاليده ، وما ثبتت جدارته من هذه النظم والتقاليد يعضى مع الزمن في تفاعل وتطور وإيجابية .

« أما الزيد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض »  
صدق الله العظيم .

## خاتمة

هذه الخاتمة وقفة وليست خاتمة ، وقفة لالتقاط الأنفاس ثم استئناف دراسة ما يتهيأ إلى من التراث المغربي وهو كثير كثير .

ولا يفوتني أن أنبه إلى أنني لم ألتزم فيما عرضته هنا المنهج التاريخي؛ فقد ختمت بابن سحنون المتوفى سنة ٢٥٦ ، وبدأت بابن سعيد المتوفى سنة ٦٧٣ هـ .

والى الحق فى ذلك ما دمت لا أعرض كتباً تعالج موضوعاً واحداً ، أو تدور حول محور واحد ، إنما هى كتب فى موضوعات متفرقة لا يجمع بينها إلا أنها تراث مغربى .

ولهذا آثرت فى ترتيبها مراعاة كتابتى لها ، فما كتبتة أولاً جاء أول ، وما كتبتة ثانياً جاء ثانياً وهكذا .

ولقد كان هذا كافياً - من وجهة نظرى - فى ترتيبها ، فالصدق الفنى يتحقق لها بذلك .

ولو أنني رحت أنسقها بعيداً عن تواريخ تأليفها لكذبت على نفسى وعليها ولأهدرت تطورى معها .

\*\*\*

والى اللقاء مع مجموعة أخرى من التراث الأدبى للمغرب العربى ، وإذا كان هذا أملاً ، فأنى أدعو الله أن يأخذ بيدي فيه وأن يحققه لى أمين .

عبدہ قلقیلہ

١٠ من رمضان ١٣٩٨ هـ  
١٤ من أغسطس ١٩٧٨ م

### كتب صدرت للمؤلف

- ١ - النقد الأدبي في العصر المملوكي مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٧٢
- ٢ - القاضي الجرجاني والنقد الأدبي  
الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣ ] نفذ
- ٣ - النقد الأدبي في المغرب العربي مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٧٣
- ٤ - القاضي الجرجاني ( على بن عبد العزيز )  
مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٧٤
- ٥ - مقالات في التربية واللغة والملاغة والنقد  
مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٧٤
- ٦ - نقد النقد في التراث العربي مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٧٥
- ٧ - النقد الأدبي عند القاضي الجرجاني  
مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٧٦
- ٨ - خط سير الادب العربي مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٧٧
- ٩ - لغويات مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٧٧
- ١٠ - التراث الأدبي للمغرب العربي مكتبة عالم الكتب سنة ١٩٧٩

### شكر وتقدير

تفضل شيخنا الجليل الشيبيل الاستاذ أحمد الحفناوى فراجع  
بروفات الطبع على أصل الكتاب ثم أذن بطبعه

فله الشكر منى والثواب من الله تعالى

\*\*\*

وأجزل الشكر وأعمق التقدير للفنيين في مطبعة دار الهنا  
بالقاهرة وعلى رأسهم الاخ الفاضل الحاج كمال حامد المشرف الفني  
بالمطبعة ، لاخراجهم هذا الكتاب اخراجا نموذجيا مثاليا .

عبدده قلقيه





